منهج المحدثين

الأستاذ الدكتور

أحمد عمر هاشم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فللسنة النبوية المطهرة مكانتها في الإسلام ، ومنزلتها المعروفة من كتاب الله ولدراستها أهمية بالغة ودقيقة، ولكن لا بد للباحث في ميدان الحديث النبوي من التعرف على مناهج المدونات الحديثية، والمصنفات الأصيلة التي صفنها أئمة الحديث، وواصلوا في سبيلها الليل بالنهار، ورحلوا من أجل ذلك إلى شتى الأقطار الإسلامية ، وضحوا بكل غال ونفيس.

كيف مرت السنة النبوية بتلك المراحل المتعددة من لدن العهد النبوي حتى عصرنا الراهن، وكيف تحمل سلفنا الحديث وأدوه، وما طرائقهم في التدوين، والشرح ومعالجة قضايا هذه الثقافة العالية والدقيقة؟

وكيف استطاعوا بمقاييسهم الدقيقة، وموازين النقد العلمي البريه أن يتعرفوا على الرواة أهل الثقة وعلى غيرهم: وعلى تمييز صحيح الأخبار من سقيمها؟

وكيف كانت مناهجهم في الرواية والنقد من الدقة والعمق بحيث لم ترق إليها ثقافة ما ولا منهج من مناهج النقد في القديم ولا في الحديث، هذا ما سيتحدث عنه هذا الكتاب "مناهج المحدثين".

وكل هذه العناية الفائقة من سلفنا، لأنهم نظروا إلى هذا العلم على أنه دين ونظروا إلى أنفسهم على أنهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم، روي الرامهرمزي في "المحدث الفاصل" عن ابن عباس قال: سمعت علي بن أبي طالب

رضـــي الله عنه يقول: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم ارحـــم خلفـــائي قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: "الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس".

وتـــأتي أهمـــية هـــذه الدراسة لمناهج المحدثين كنتيجة أكيدة لأهمية السنة نفسها، وإذا كانت هذه الدراسة لم تطرق من قبل مكتملة متصلة الحلقات، إلا أنها موجودة في أمهات دواوين السنة، ومبثوثة في تاريخ رجال الحديث، ويمكن التعرف على مناهج المحدثين من سير كتبهم والغوص في بحورها الدفاقة الممتلئة، والتي تفيض عطاء لا ينتهي وتوجيها وضياء لحياة المسلمين.

وأســـأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع، وأن يرزقني التوفيق لأشرف بخدمة السنة المطهرة، وأن يرزقنا جميعاً حسن القول والعمل، وأن يغفر لـــنا ولوالدينا ولسائر المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

أ. د/ أحمد عمر هاشم

مكانة السنة

للسنة النبوية الشريفة مكانتها في الإسلام ، فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، فهي المفسرة لمبهمه، المفصلة لمجمله، المقيدة لمطلقه، المخصصة لعامه الشارحة لأحكامه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

كما أتت السنة — كذلك — بأحكام لم يرد في القرآن الكريم نص صريح عليها، كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وتحليل ميتة البحر.

وكل ما جاء في السنة النبوية، على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يتبع فيه ما يوحى إليه. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾[2].

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه حين يبين للناس ما نزل إليهم لا يصدر في بيانه من تلقاء نفسه وإنما يتبع ما يوحى إليه.

ولهذا جعل الله تعالى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة له، وأوجب على المسلمين اتباع بيانه فيما يأمر وينهي، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[3] .

وقد اصطفى الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ليبلغ الرسالة الإلهية،

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) الأنعام: ٥٠.

(٣) النساء: ٨٠.

ويـــتلو على الناس آيات الله ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأعده الله إعـــداداً كاملاً، وأحاطه بعنايته وكلأه برعايته وعصمه من الناس، وعلمه ما لم يكن يعلم، قال تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِـــلُّوكَ وَمَـــا يُضِـــلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[1].

وقـــام رســـول الله صلوات الله وسلامه عليه، بهذه الرسالة السماوية خير قـــيام، وأدى الأمانة الإلهية على أكمل وجه، وتحمل في سبيلها ما تحمل، وصبر واستعذب الأذى، حتى أرسى دعائم الدعوة، وأقام دين الله سبحانه وتعالى.

وأمـــا بالنســـبة للمسلمين فقد أدركوا أهمية السنة، وعرفوا لها مكانتها ومنزلتها فكانوا أحرص ما يكون على حفظ القرآن والسنة، وعلى معرفة أحكام دينهم وتطبيق ما يتعلمون وما يحفظون من كتاب ربهم وسنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، يقول أبو عبد الرحمن السلمي: "حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صـــلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل.. فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً".

كمـــا اســـتجاب المســـلمون إلى دعوة الكتاب والسنة، في تحصيل العلم والعمل والإقتداء برسولهم، صلى الله عليه وسلم مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَـــانَ لَكُـــمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[2].

---

(١) النساء: ١١٣.

(٢) الأحزاب: ٢١.

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يفقه في الدين" رواه البخاري وأحمد وابن ماجة.

وقد ساعدهم على الحفظ والتحصيل، ما كانوا عليه من استعداد فطري وذوق عربي، وذاكرة واعية أمينة، وقريحة قوية، تحفظ ما تريد حفظه بشيء منقطع النظير وواظبوا على مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم لينهلوا من حديثه فيها.

كما حرصوا كذلك على أحاديثه التي يقولها في بعض المناسبات والأحوال الأخرى، أي أنهم لم يقتصروا فقط على المجالس المعروفة فحسب وإنما على كل ما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام في شتى المناسبات، من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاماً، فسأله كيف تبيع؟ فأخبره، فأوحي إليه أدخل يدك فيه، فأدخل يده، فإذا هو مبلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من غش" رواه أحمد في مسنده.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني". والإضافة إلى ما سبق فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسولهم عليه الصلاة والسلام عن الأمور الشخصية ويتعرفون على كل ما يتصل بها من أحكام دقيقة، وكان صلوات الله وسلامه عليه يفتح لهم باب العلم والسؤال ويقول: "إن الله عز وجل لا يستحي من الحق" رواه أحمد.

ونهج الرسول صلى الله عليه وسلم معهم منهج التدرج، وكان يفتهم في

كل حال، في الحل والترحال، وكان يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة ويخاطبهم بلغـــاتهم ولهجاتهم وعلى قدر عقولهم كما بلغ من حرصه صلوات الله وسلامه عليه أنه كان يكرر القول ثلاثاً، ويعمل على جذب انتباههم ويتحرى تعليمهم في الأوقات الملائمة حيث تكون العقول يقظة وواعية.

منهج الصحابة في الرواية

التقـــت توجيهات الإسلام في الحث على طلب العلم وتحصيل السنة، مع رغبة الرعيل الأول من المسلمين في حفظها وأخذها، وفي نشرها وتبليغها، فهم عـــلى يقـــين بـــأن رسولهم صلوات الله وسلامه عليه ما ينطق عن الهوى، وأن تحصـــيل العلم، وحفظ السنة سبيل إلى الجنة، ففي الحديث: "من سلك طريقاً يلـــتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"، رواه أحمد ومسلم فلا غرابة أن يحرصوا على حفظ السنة، وفهمها وتطبيقها.

وكمـــا حرصـــوا على حفظها، فقد عنوا – كذلك – بتبليغها ونشرها، لثقـــتهم بأنهـــا دين يجب أن يبلغ لكافة المسلمين، ولطالما حثهم رسولهم عليه الصـــلاة والسلام على تبليغ العلم ونشر السنة، فهو يقول: "نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع".

ولـــذا فقد اجتهد الصحابة رضي الله عنهم، في تبليغ السنة كما سمعوها، واحتاطوا لذلك وبذلوا أقصى ما في وسعهم، من الدقة والحيطة وتحري الصدق والصواب، والبعد عن الخطأ والاختلاف والكذب، واستجابوا للنداء الإلهي ﴿يَا أَيُّهَـــا الَّذِيـــنَ آمَـــنُوا إِنْ جَـــاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1].

بيد أن بعض الصحابة قد يتعذر عليهم حضور مجلس رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم في جميع الأوقات لما يقومون به من أمور المعاش فكانوا يتناوبون الحضور مع غيرهم، كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب

(١) الحجرات: ٦.

الـــنزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك".

كمـــا كان البعض ممن لا يتسنى له أن يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم لقيامه ببعض أعماله فكان يطلب ما يفوته سماعه من أقرانه، وكان يتشدد على من سمع منه.

وأمـــا بالنســـبة للقبائل البعيدة، فقد كانوا يبعثون إلى النبي صلى الله عليه وسلم من يتعلم أحكام الدين منه، ثم يعود إليهم ليوجههم ويعلمهم.

وأمـــا عن النساء فقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يعلمهن أمـــور الدين ويخصص وقتاً يجلس لهن فيه، وكانت أمهات المؤمنين على درجة عالـــية مـــن العلم لذا وجد النساء عندهن الإجابة على أمورهن وأحوالهن التي يمـــنعهن الحـــياء من التصريح بها أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، كالأمور الخاصة بهن، فكان لأمهات المؤمنين دور هام في هذا المضمار.

كمـــا كانـــت هـــناك طرق كثيرة ساعدت على انتشار السنة وتبليغها، كبعوثه صلى الله عليه وسلم إلى القبائل، لتعليمهم وإرشادهم، وكتبه إلى الملوك يدعوهـــم إلى الإســـلام وخطـــبه وكـــان لغزوة الفتح أثرها في نشر كثير من الأحاديث والأحكام.

ومـــع هذه الكثرة من الأحاديث وانتشارها وتبليغها، فلم يكن هناك مجال لـــلخلاف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن آنئذ خوف على السنة، لأن الصـــحابة كانوا إذا ظهر بينهم خلاف في مسألة رجعوا إلى رسولهم صلى الله عليه وسلم، وإذا عن لهم أمر من الأمور سألوه عن وجه الحق والصواب فيه، وعاشوا في جو نقي يشرق بالصدق والأمانة.

ولكن بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى خيف على الحديث خاصة وأنه لم يدون في كتاب، والإسلام تتسع رقعته، ويدخل فيه الكثير، فكان من الضروري أن يتثبتوا فيما يروون وفيما يروي إليهم.

ومن هنا كان منهج الرواية في عهد الصحابة، وانبثق منهجهم من تعاليم الكتاب والسنة من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1]، ومن قول رسولهم صلوات الله وسلامه عليه: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[2]، ومن توجيهات رسولهم صلى الله عليه وسلم كانت قواعد التثبت التي بنوا منهجهم عليها في الرواية.

وكان أول من وضع قوانين الرواية فيهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة، ويتلخص منهجهم في الإقلال من الرواية مخافة الاشتغال بها والانصراف عن تلاوة القرآن الكريم، وخشية الوقوع في الخطأ.

والإقلال من الرواية كان سيراً سليماً على ما رسمه لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام حين قال: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"[3]، كما ساروا في منهجهم على طريق التثبت من الراوي والمروي.

ومن أمثلة التثبت عن الصحابة ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعوراً فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذن

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع، فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم وقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك فقال عمر لأبي موسى: أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإنما روى عن البعض كثير من الحديث مع ما تبين من منهجهم في الإقلال من الرواية، لكثرة ما كانوا يسألون ويستفتون. فيجيبون ويذكرون من الأحاديث الكثير مما حفظوه تجنبا لكتمان العلم، ونشرا له، وهداية للناس كما حدث بالنسبة لعبد الله بن عمر رضي الله عنه حيث كان سائرا نفس المنهج ولكن روي عنه كثير من الأحاديث.

ومن أمثلة تثبت الصحابة وحيطتهم رضي الله عنهم ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني غيره استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وإن أبا بكر حدثني وصدق أبو بكر، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من رجل يذنب ذنباً، فيتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له"[1].

لقد دفعتهم غيرتهم على الدين، وحيطتهم للسنة إلى التأكيد البالغ، والدقة الفائقة، بحيث يروي الحديث أكثر من واحد، أو يشهد البعض مع راوي الحديث أو أن يستحلف وهكذا.

ولكن هذا لا يعني أنهم يشترطون ذلك في قبول الرواية، أو للعمل

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

بالحديث وإنما كان هذا منهم للتأكد والحيطة والتثبت من الأحاديث التي تروى، ليظل الناس سائرين على هذا المنوال في الدقة، فلم يكن من شروطهم لقبول الخبر مثلاً أن يرويه راويان أو أن يشهد مع الراوي آخر أو أن يستحلف.

ومما يدل على الاستيثاق الأكيد والحذر الشديد، أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال: هكذا، أو نحوا من هذا، أو قريباً من هذا، وكان يرتعد. وما ذلك إلا لأنهم رضوان الله عليهم كانوا يتورعون عند ذكر الحديث مخافة النقص أو الزيادة أو الخطأ، وحاشاهم أن يخطئوا، فقد كانوا بحق أوعية للعلم، حفاظاً للكتاب والسنة، مطبقين لهما قولاً وفعلاً وسلوكاً.

وهذا محمد بن سيرين يقول: كان أنس بن مالك قليل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وكان إذا حدث عنه قال: أو كما قال.

ولم يكن ورعهم أو حذرهم ليقلل من جهودهم الموفقة، في سماع الحديث وروايته، وإنما اندفعوا إلى تحصيله وحفظه، وتبليغه ونشره بقلوب مخلصة، ونفوس تواقة إلى هذا الخير العميم مهما كلفهم ذلك من تعب أو نصب، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير قال واعجبا لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فترك ذاك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث، فإنه كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل (أي نائم وقت الظهيرة) فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك

ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث.

وكيف لا يكون شغفهم للحديث كذلك، وهم الذين اختارهم الله تعالى ليحفظوه وينقلوه إلى من بعدهم، وهم الذين عايشوا الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ورأوا بثاقب فكرهم، وعميق إيمانهم ارتباط سعادتهم الدنيوية والآخروية به، وأي تراث أعلى وأغلى من هذا التراث، إنه الدين الذي أعزهم الله به، إنه النور الذي أضاء لهم الحياة.

ومن أجل ذلك تمسكوا بالسنة، وعضوا عليها بالنواجذ، ولم يتخلوا عنها في لحظة من اللحظات ولا لجأوا إلى الرأي بحال من الأحوال مع وجود الحديث تشهد بذلك الوقائع الكثيرة المأثورة عنهم، بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: "إياكم والرأي، فإن أصحاب الرأي أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت منهم أن يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم"[1].

وأما ما جاء عن الصحابة من الاجتهاد بالرأي، فإنه لم يكن إلا بعد البحث عن الحديث، فإذا لم يجدوه اجتهدوا برأيهم، فإذا جاءهم بعد ذلك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوه وتركوا الرأي.

عن عبد الله بن مسعود قال: "من عرض له منكم قضاء فليقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فليقض بما قضى فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فإن جاء أمر ليس في كتاب الله ولم يقض فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون فإن جاء أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ولم يقض به الصالحون فليجتهد رأيه فإن لم يحسن فليقم ولا يستحي"[2].

---

(١) أعلام الموقعين (١/ ٤٦).

(٢) المرجع السابق.

وقد كانوا بذلك مستجيبين لأمر الله تعالى الذي وجههم إلى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى التسليم لحكمه واتباعه قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

كما التزموا حدود أوامره ونواهيه، وبلغ من طاعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم واقتدائهم به أنهم لم يجز واحد منهم مراجعته، إلا فيما يريدون أن يستفسروا عنه أو أن يعرفوا الحكمة فيه و لم يلحق صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الأعلى إلا بعد أن اطمأن تماماً على أنه أرسى معالم الحق وأدى الأمانة الإلهية ووصى المسلمين بطاعته واتباعه بعد وفاته تمسكاً بالكتاب والسنة، وسيراً على هديهما كما قال صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا بما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي" [2].

ولشدة حاجة الصحابة إلى السنة النبوية، ومن أجل حيطتهم البالغة، كانوا يتأكدون مما حفظوا ويراجع بعضهم الآخر، ليتذاكروا الحديث، ويثبتوا من محفوظاتهم ومن أجل هذا رحلوا في سبيل العلم ونشره، وكانوا يشجعون على العلم وعلى السفر من أجله يقول عبد الله بن مسعود: "لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله تعالى مني تبلغه الإبل لأتيته"[3].

بل إنه أثر عن بعضهم أنهم كانوا يرحلون من أجل الحديث الواحد، إذا بلغهم حديث و لم يسمعوه رحلوا من أجل سماعه، كما حدث جابر بن عبد الله

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) رواه الحاكم ومالك.

(٣) الكفاية ص ٤٠٢.

أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فابتعت بعيراً، فشددت إليه رحلي شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس فبعثت إليه أن جابراً بالباب، فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله ؟ فقلت: نعم، فخرج فاعتنقني، قلت: حديث بلغني لم أسمعه خشيت أن أموت أو تموت، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلا بهما" والغرل: الذين لم يختتنوا" قلنا: ما بهما؟ قال ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد — أحسبه قال كما يسمعه من قرب: أنا الملك، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت: وكيف؟ وإنما نأتي الله عراة بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات"[1].

نعم إنها الهمة العالية، والجهود المتواصلة، التي بذلت من سلفنا في سبيل الحفاظ على سنة رسولهم صلوات الله وسلامه عليه، وما فترت هممهم، في لحظة من اللحظات، بل إنهم كانوا يخشون أن يموتوا قبل أن يصلوا إلى بعض الأحاديث التي فاتهم سماعها.

وفي هذه الجهود خير أسوة لأبناء الإسلام، أن يضاعفوا هممهم في تحصيل العلم وفي الحفاظ على تراثهم الغالي الذي بذل أسلافهم فيه قصارى جهدهم و لم يتوقفوا في تحصيله وتعليمه حتى الموت.

كما أن في ذلك توجيهاً للمسلمين بأنه لا يكبر على العلم أحد بل عليهم أن يطلبوه من المهد إلى اللحد، وأن يرحلوا من أجله وأن يسافروا في سبيله مهما كلفهم ذلك من جهود.

---

(١) الأدب المفرد وجامع بيان العلم وفضله.

ولما كان هذا العلم ديناً، وبه تكون سعادتهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة فقد احتاطوا له، وتثبتوا في نقله بما لا يدع مجالاً للمجادلين بالباطل أو الذين يحاولون إثارة الشبه حوله فقد نقله سلفنا بأدق طرق النقد العلمي الترية.

ومما يدل على قوة تمسكهم بالسنة، وتثبتهم فيها أنهم كانوا يسافرون المسافات الواسعة من أجل التأكد من صحة ما حفظوه، لا من أجل تحصيل شيء فاتهم فحسب، فكانوا يتثبتون من حفظهم لدرجة بعيدة حتى إن أبا أيوب الأنصاري رحل من الحجار إلى مصر، ليتثبت من صحة حفظه لحديث واحد لقد سافر إلى عقبة بن عامر، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره وغير عقبة.

فلم قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري – وهو أمير مصر – فأخبره فعجل عليه، فخرج إليه فعانقه، ثم قال له ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله.

فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة فعجل فخرج إليه فعانقه، فقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغيرك في ستر المؤمن. قال عقبة: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ستر مؤمناً على خزية (وهي الشيء الذي يستحيا منه) ستره الله يوم القيامة، فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعاً إلى المدينة [1].

(١) جامع بيان العلم.

إنهـــا العقيدة الإسلامية الصحيحة، التي غرسها الإسلام في قلوبهم، وإنها حلاوة الإيمان، التي خالطت دماءهم فحفظوا مصادر الدين عقلاً وقلباً وروحاً، وطبقوا تعاليمه وعملوا بما علموا.

ولقد كانوا بهذا الإخلاص، وتلك الجهود حفاظاً للشريعة، وحراساً أمناء، صـــانوها مـــن انـــتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين فهم بحق عدول هذه الأمة، وخلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكيف لا، وعلم الحديث الذي حملوه هو أجل العلوم وأشرفها، به النجاة والهدى والفوز والفلاح، وكما قال القائل:

دين النبي وشـــرعه أخباره وأجل علم يقتفى آثاره

من كان مشتغلا بها وبنورها بين البرية لا عفت آثاره

واشـــتمل منهج الصحابة في الرواية، على منع الرواة أن يحدثوا العامة بما يعلـــوا عـــلى فهمهم، مما قد يترتب عليه فتنتهم أو تكذيبهم لمن يحدثهم، وقد ســـاروا في هـــذا على ما رسمه لهم رسولهم صلوات الله وسلامه عليه، إذ كان يمنعهم من أن يحدثوا العامة بما لم يفهموه خشية أن يفتنوا، أو يكذبوا.

وحـــتى لو افترضنا أنهم لم يكذبوا، وعملوا بما سمعوه، فربما يتركون بعض الأحكـــام لعـــدم معرفتهم بها، وهضمهم لها، بل قد يكون في تحديثهم مدعاة للشك والارتياب، والبعد عن الصواب.

ولقـــد كانت توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة ألا يخبروا أو يحدثـــوا الناس بما يعلوا على فهمهم خشية أن يتركوا العمل فيما إذا حدثهم بحديث فيه بشرى، كحديث معاذ، الذي رواه البخاري في صحيحه، قال صلى الله علـــيه وسلم: "يا معاذ بن جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا

معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: إذا يتكلوا" وأخبر به معاذ عند موته تأثماً، أي خشية الوقوع في الإثم بسبب كتمان العلم.

وفي هذا دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، يقول علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ ومعنى قوله: "بما يعرفون" أي يفهمون، وفي رواية: "ودعوا ما ينكرون" أي ما يشتبه عليهم فهمه".

ومثل هذا أيضاً قول ابن مسعود رضي الله عنه "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً، لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"[1]. وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب.

وإذا نظرنا إلى حديث معاذ وجدنا ظاهره يقتضي عدم دخول جميع من شهد الشهادتين النار، لما فيه من العموم: ولكن الأدلة القطعية عند أهل السنة تدل على أن طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة، فعلم أن ظاهره غير مراد وإنما هو مقيد بمن تاب وعمل الأعمال الصالحة.

وفيما رواه الإمام مسلم في صحيحه، ما يفيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لأبي هريرة أن يبشر بالجنة من يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، فرده عمر، وقال لرسول صلى الله عليه وسلم: "فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلهم وهذا

(١) رواه مسلم.

معدود من موافقات عمر رضي الله عنه.

وفي روايـــة البزار – أيضاً – بإسناد حسن، أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لمعاذ في التبشير، فلقيه عمر، فقال: لا تعجل، ثم دخل فقال: يا نبي الله أنت أفضل رأيا، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها، قال: فرده.

وقد استنبط الأئمة من هذا جواز إمساك بعض العلوم التي لا حاجة إليها للمصلحة، أو خوف المفسدة، وكراهية رواية ما فيه من إثارة للفتن بسبب عدم فهم البعض إليه، أو استغلال أصحاب الأهواء لظواهر النصوص.

وفيما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: "حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين، فأما أحداهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم" وحمل العلماء ما لم يذعه وينشره على ما كان فيه أسماء حكام السوء وأحوالهم وزمـــنهم، أو أنه ما يتعلق بأشراط الساعة وتغير الأحوال في آخر الزمان فينكر ذلك من لم يفهمه، ويعترض وعليه من لا شعور له به.

ولقـــد نهج الصحابة على رواية وتعليم ما وضح من المسائل ثم يتدرجون إلى ما دق منها ويحتاطون في عدم رواية ما يعلو على فهم العامة قال ابن عباس كونوا ربانيين حلماء فقهاء علماء، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

والمـــراد بصـــغار العـــلم ما وضح من مسائله وبكباره ما دق منها فهم يتدرجون من الصغير إلى الكبير ومن الواضح إلى الدقيق، وللمحدثين بهذا فضل الســـبق في أمـــثل الطرق التربوية الناجحة. وهكذا يتلخص منهج الصحابة في الـــرواية بالإقلال منها، وبالتثبت البالغ، والحيطة التامة وبعدم التحديث بما يعلو على فهم العامة.

كتابة السنة في العهد النبوي

تلقـــف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، سنة رسول الله صلى الله عليه وســـلم فحفظوها وفهموها وعملوا بها وطبقوها هذا إلى جانب موقفهم العظيم مـــن كتاب الله تعالى حفظاً وفهما وتطبيقاً. وقد كانوا في أول العهد لا يكتب الحديث منهم إلا القليل، مخافة اختلاط القرآن بالسنة.

بـــل وردت بعض الأحاديث تنهي عن الكتابة من ذلك ما رواه أبو سعيد الخـــدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"(١).

وهـــذا النهي عن كتابة الحديث، لا يتعارض مع ما ثبت من كتابة البعض في ذلك العهد إذ أن النهي كان في بدء الدعوة خشية أن يختلط الحديث بالقرآن فيلتـــبس على بعض الناس، أو أن النهي كان في حق من يوثق بحفظه، وخيف اتكاله على الكتابة.

وأما من لا يوثق بحفظه، فقد أذن له بالكتابة، كما حدث لأبي شاه، وهو من أهل اليمن، فحين سمع خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "اكتب لي يا رسول الله، فقال اكتبوا لأبي شاه"(٢).

وأيضـــاً فإن النهي وإن كان عاماً إلا أنه قد سمح بالكتابة لمن كان كاتباً مجـــيداً لا يلتبس عليه الحال بين السنة والكتاب كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ما من أصحاب النبي صلى الله علـــيه وســـلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

كان يكتب ولا أكتب"[1].

وكـــان للنهي عن كتابة الحديث في بادئ الأمر ثمرة عظيمة، هي اتساع المجال أمام القرآن الكريم حتى يأخذ مكانه في الكتابة، ويثبت في صدور الحفاظ، أو أن النهي كان خاصاً بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة وأن الإذن كان في تفريقهما، أو أن النهي كان متقدماً، فالإذن بالكتابة ناسخ له عند الأمن من الالتباس وهذا أقرب الآراء.

والـــذي نـــراه أن الـــنهي عن الكتابة كان عاماً في بادئ الأمر، وخص الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة بالإذن في الكتابة لأسباب منها: أن الـــبعض لا يوثق بحفظه كأبي شاه، ومنها أن البعض كان كاتباً مجيداً، لا يلتبس علـــيه الحال كعبد الله بن عمرو بن العاص روى الإمام أبو داود بسنده عن عبد الله بـــن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء ورسول الله صلى الله علـــيه وســـلم بشر، يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بيده إلى فيه فقال: "اكتب فوالذي نفســـي بيده ما يخرج منه إلا حق، وصدق الله إذ يقول: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[2].

وأما نسخ أحاديث الإذن بالكتابة لأحاديث النهي عنها ففيه تدرج معهم انتهى بالإذن العام في الكتابة، فبعد أن كان النهي عاماً عن كتابة الحديث، أذن للبعض بالكتابة، ثم نسخ النهي بعد ذلك، وانتهى الأمر إلى جواز الكتابة حيث

(١) رواه البخاري.

(٢) النجم: ٣، ٤.

نـــزل أكثر الوحي وحفظه الكثيرون، وأمن اختلاطه بسواه، قال صلى الله عليه وسلم : "قيدوا العلم بالكتاب"[1].

وكذا لما كثرت السنن، وخيف عليها أن تضيع من البعض، كان الإذن بالكـــتابة ناســـخاً لما تقدم من النهي، ولم يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا وكتابة الحديث مأذون فيها".

ومـــا يقـــوي ذلـــك أن الأحاديث التي ورد فيها الإذن بالكتابة متأخرة الـــتاريخ" فمثلاً أبو هريرة رضي الله عنه أسلم عام سبع، وأبو شاة كانت قصته في الســـنة الثامنة عام الفتح، ومما روي – أيضا – في الإذن بالكتابة ما أخرجه الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم فيستمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: استعن بيمينك وأومأ بيده إلى الخط".

وتحدثـــنا الأخـــبار الصـــحيحة وتطالعنا المراجع الأصيلة بكتابة كثير من الأحاديـــث في كثير من الصحف فمن ذلك الكتاب الذي دون في السنة الأولى الهجـــرية ويتضمن حقوق المهاجرين والأنصار وأهل المدينة، ثم ما كتبه أبو بكر لأنـــس بـــن مالك من كتاب فيه ما فرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات، وكان ممهوراً بخاتمه صلى الله عليه وسلم وكانت توجد بعض الكتب الـــتي فـــيها كثير من الأحاديث عند بعض الصحابة من أمثال: سعد بن عبادة، وأسماء بنت عميس وأبي هريرة وغيرهم.

وأخـــيراً فقـــد استقر الأمر، وانعقد الإجماع على جواز الكتابة بل على

(١) جامع بيان العلم.

استحبابها بل لا يبعد وجوبها على من خاف النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم كما ذكر الحافظ ابن حجر وسنذكر بمشيئة الله تعالى وتوفيقه أهم الصحف التي دونت في العهد النبوي، لنرى أن مناهج المحدثين كانت متصلة الإسناد رواية وكتابة، وأن السنة المطهرة من لدن صدورها من الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخذت طريقها إلى القلوب عن طريق الكلمة المسطورة والمحفوظة وأن الله تعالى قد قيض لها من أسباب التوثيق ما لم يحدث له نظير أبداً في تاريخ البشر.

أشهر الصحف المدونة في العهد النبوي.

من أشهر الصحف التي دونت وكتبت في العهد النبوي، صحيفة عبد الله ابـــن عمرو بن العاص، ولهذه الصحيفة أهمية علمية بالغة، إذ أنها تعتبر من أهم الوثـــائق التاريخية للدلالة على كتابة الحديث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وســـلم بإذنـــه فقد كان ابن عمرو أول من كتب الحديث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويزيد من أهمية هذه الصحيفة ما ذكره ابن الأثير في "أسد الغابة" من أنها تضـــم ألـــف حديـــث، وأن صاحبها متقدم الإسلام، وقد توفر له من أسباب التحمل وكثرة الرواية ما لم يتوفر لغيره".

ولذا فقد جمع بين حفظ الحديث في قلبه، وكتابته في الصحف، يقول أبو هريـــرة رضي الله عنه: "ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وســـلم مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب"[1]. ولكـــثرة مـــا حفظ عبد الله بن عمرو وما تحمل، فقد كان الكثير من الصحابة رضـــي الله عنهم يحرصون على السماع منه والأخذ عنه قالت عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير : يا ابن أختي بلغني أن عبد الله ابن عمرو مار بنا إلى الحج فالقه فاسأله فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً.

وتـــرجع كتابة عبد الله بن عمرو للحديث إلى إذن رسول الله صلى الله علـــيه وسلم له في الكتابة، فقد كان يحسن الكتابة ولا يلتبس عليه شيء، وفيما رواه ابن سعد عن عبد الله بن عمرو أنه قال: أستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة ما سمعت منه فأذن فكتبته، فكان عبد الله يسمى صحيفته تلك الصادقة.

---

(١) رواه البخاري.

وسبب تسمية هذه الصحيفة بالصادقة، أنها كتبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة قال مجاهد: رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال: هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه فيها أحد"[1]. وقد كان عبد الله يروي ويملي الحديث، ولم تتحدث المصادر عن المنهج الذي كان يسير عليه في إملائه، ولكن المعروف عنه وعن غيره من الصحابة أنهم كانوا في غاية التثبت لما يروون سواء كان من الحفظ أم كان من الصحيفة الصادقة أم كان من غيرها ومثل ذلك إملاؤهم.

ولكن عبد الله بن عمرو كان يعتز بالصحيفة الصادقة، لأنه أخذها وكتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد، وكان يقول: ما يرغبني في الحياة إلا خصلتان: الصادقة والوهط، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها.

وكان عبد الله بن عمرو يملي الأحاديث على تلاميذه ومن يتلقون عنه السنة كما كان محافظاً على صحيفته ، ويوليها أكبر العناية والصيانة خشية الضياع، وقد حفظ أهله من بعده هذه الصحيفة وكان حفيده عمرو بن شعيب يحدث منها.

ومع كثرة ما تحمل عبد الله بن عمرو، ومع أنه كان يكتب الحديث وأبو هريرة لا يكتب مع هذا نرى أن ما رواه أبو هريرة أضعاف ما رواه ابن عمرو، مع أن الذي كان من المنتظر والمحتمل أن يكون العكس؟

هذه حقيقة، ولكننا إذا عرفنا أن ابن عمرو كان اشتغاله بالعبادة أكثر من

---

(١) رواه ابن سعد.

التعلـيم، وأنـه أقـام بعد الفتوح في مصر أو الطائف بينما كان أبو هريرة في المدينة، يتصدر للتحديث هذا إلى جانب ما حظي به أبو هريرة من دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم له ألا ينسى إذا عرفنا هذا، وقفنا على السبب في كثرة مرويات أبي هريرة عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

وكان لجابر بن عبد الله الأنصاري صحيفة مشهورة، وقد روي أبو الزبير وأبو سفيان والشعبي عن جابر وكان أكثر ما رووه من الصحيفة.

ويعتـبر جابر بن عبد الله من الصحاب المكثرين من رواية الحديث، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمه في كل غزواته، وشهد رضي الله عنه عصر كبار الصحابة وأكثر من تحمل الحديث وروايته، وكانت له حلقة في المسجد النبوي تشع هدى وعلماً، ويؤخذ عنه فيها من العلم ومن الأحاديث الشيء الكثير.

وأتاحت له حياته التي امتدت به أربعة وستين عاماً بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكثر من تحمل الحديث وروايته حتى روي له ألف وخمسمائة وأربعون حديثاً.

وكـان لهمـام بن منبه صحيفة، كتبها عن أبي هريرة ورواها عنه معمر ورواها الرواة عن معمر وأجلهم إمام أهل اليمن عبد الرزاق بن همام وأجل من رواهـا عـنه إمـام أهل السنة وأمير المؤمنين في الحديث الإمام أحمد بن حنبل وساقها في مسنده بإسناد واحد في موضع واحد.

وتعتـبر صـحيفة همام من أوائل ما كتب من الحديث، وبكتابة همام لها كانت تأليفا مستقلاً وقد كتبها همام عن أبي هريرة مباشرة في حياته وأبو هريرة توفى سنة ثمان وخمسين، وهمام ولد قبيل سنة أربعين وفي هذا دلالة على تدوين

السنة في وقت متقدم، فتدوين هذه الصحيفة قبل وفاة أبي هريرة، وذلك في النصف الأول من القرن الأول.

وإنما كان لهذه الصحيفة أهميتها البالغة، ومكانتها الخاصة في تدوين السنة لأنها وصلت كاملة غير منقوصة، ورواها همام ودونها عن أبي هريرة تامة فكانت حرية بما أطلق عليها من اسم: "الصحيفة الصحيحة" ومما يؤكد الثقة بها أن جميع أحاديثها قد جاءت في مسند الإمام أحمد بن حنبل وأن كثيراً منها في الصحيحين والبعض ليس في الصحيحين، وهذا يدل على أن البخاري ومسلماً لم يستوعبا جميع الأحاديث الصحيحة.

وبهذا يتضح لنا كتابة السنة في القرن الأول؛ لأن أهل القرون الأولى هم حلقة الاتصال بالنسبة لمن بعدهم، من أهل القرون التالية، الذين انتقلت على أيديهم السنة، وأهل القرن الأول، وإن كانت الأحاديث التي كتبوها يظن أنها قليلة إلا أنها صحيحة كلها لا يدخلها شك فهم عدول، وهم خير القرون، وما من شك فيما كانوا عليه في العهد الأول من المنزلة العالية في الحفظ والضبط وليس هذا غريباً على قوم انحدروا من أصلاب آباء كانوا قمماً عالية في الحفظ والإتقان، ومع هذا فقد كتب بعضهم السنة، فكان وصولها إلى القرون التالية شفاهة وتحريراً، وهذا أدق وأوثق وأحوط يقول ابن الصلاح "ولولا تدوينه — أي الحديث — في الكتب لدرس في الأعصر الأخر".

مدارس الحديث النبوي
في القرن الأول الهجري

شـــاء الله تعـــالى للفتوح الإسلامية أن تتوالى وأن تتسع، فتم فتح الشام والعـــراق سنة سبع عشرة من الهجرة، وتم فتح مصر سنة عشرين وفارس سنة إحدى وعشرين وسمرقند سنة ست وخمسين، ودخل الكثير من أهل هذه البلاد في الإســـلام فأرســـل الخلفـــاء إليهم من الصحابة من يعلمهم ويفقههم، ومن الصـــحابة من رحل إلى تلك الأقطار معلماً وموجهاً ومنهم من استوطن هناك حتى توفي.

وفي كـــل قطر إسلامي نزل فيه الصحابة كان يلتف حولهم طلاب العلم والحديـــث فتخرج على أيديهم في كل مكان طبقة من التابعين كونوا مدارس للحديث النبوي، لم تكن على ما نحن عليه الآن ولكنها في بساطتها كانت أكثر تحصيلاً وتطبيقاً، وإشراقاً ونوراً.

وكانـــت المســـاجد آنئذ هي ملتقى شيوخهم، يجتمعون بهم ويحدثونهم ويفقهونهـــم، حتى نهض في كل قطر جيل من التابعين كانوا حماة للسنة، وحملة لمشاعل النور والهداية ولنذكر فيما يلي نبذة سريعة عن كل مدرسة من مدارس الحديث النبوي في ذلك العهد العظيم.

مدرسة الحديث بالمدينة المنورة:

المديـــنة المنورة هي دار الهجرة، وموطن الأنصار الذين ضرب القرآن بهم المثل في الإيثار ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِـــدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ

بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وفي المدينة المنورة تكونت الدولة الإسلامية وتمت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقويت الأمة الإسلامية، ومنها انطلقت قوى الإسلام منتصرة فاتحة، وفيها نزل أكثر التشريع الإسلامي وحدث الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر حديثه.

وظلت المدينة المنورة محط أنظار المسلمين ، وعاصمة الخلافة ومركز الأمة يفضل الصحابة الإقامة فيها حتى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يبرحونها إلا لحاجة ملحة كل ذلك كان التماساً لبركة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وحباً له وتمسكاً بسنته في حياته وبعد وفاته، روى ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر أنه قال: لا نعلم أحداً من المهاجرين من أهل بدر رجع إلى مكة — يعني بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم — فترلها غير أبي سبرة فإنه رجع إلى مكة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فترلها فكره ذلك له المسلمون وولده ينكرون ذلك ويدفعون أن يكون رجع إلى مكة فترلها بعد أن هاجر منها، ويغضبون من ذلك"[2].

ولقد كان في المدينة المنورة من الصحابة رضوان الله عليهم من عرف بالحديث والفقه وكان لهؤلاء الصحابة قدم راسخة حتى اشتهروا بالحديث والفقه فمن هؤلاء أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبو هريرة وعائشة أم المومنين وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وعرف زيد باستنباط الأحكام من الكتاب والسنة وكان

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) الحديث والمحدثون د/ محمد أبو زهو.

عمر يستأنس برأيه في القضايا وعلى أيدي هؤلاء الصحابة الأجلاء قامت نهضة مدرسة الحديث في المدينة المنورة، وعلى أيديهم تخرج الرعيل الأول من التابعين بالمدينة ومن أشهرهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير بن العوام وابن شهاب الزهري، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وسالم بن عبد الله ابن عمر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، ونافع مولى ابن عمر وغير هؤلاء ممن عنوا بالسنة وحفظها.

مدرسة الحديث بمكة المكرمة:

امتازت مكة المكرمة بمكانتها الروحية، فهي البلد الحرام، وفيها بيت الله الحرام "الكعبة المشرفة" وإليها تتجه الوجوه في كل صلاة، فهي قبلة المسلمين وفيها يلتقي المسلمون من شتى الأقطار يمثلون أكبر مؤتمر إسلامي في الحج لهذا كله تمتعت مدرسة الحديث في مكة بخصائص جعلتها تمتاز هي والمدينة المنورة على جميع بلاد العام، في نشر العلوم والمعارف، وفي رواية الحديث والعناية بالأسانيد وتنقيح المرويات.

وقد كان رائد هذه المدرسة هو معاذ بن جبل أفضل الشباب علماً، وأعلم الصحابة بالحلال والحرام، لقد خلفه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الفتح في مكة المكرمة ليعلم أهلها ويقرئهم كتاب الله ويفقههم في الدين.

ثم آلت زعامة دار الحديث في مكة المكرمة إلى عبد الله بن عباس وذلك بعد أن رجع من البصرة، وكان رضي الله عنه من حفاظ الحديث وعلى يديه تخرج كثير من علماء التابعين من أشهرهم مجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، وإليه يرجع الفضل فيما تميزت مكة المكرمة من شهرة علمية فقد خلف عبد الله بن عباس رضي الله عنه ثروة علمية

هائلة من الأحاديث النبوية الشريفة، والآراء الاجتهادية القيمة، والتف حوله أتباع ومريدون أخذوا منه ورووا عنه، واغترفوا من فيض علمه وفقه مما دفع بمدرسة الحديث في مكة إلى الأمام وجعلها تزدهر بالحياة العلمية والنهضة الحديثية.

مدرسة الحديث بالكوفة:

نزل بالكوفة كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أيام الفتوح ومكث بها عدد كبير ودفنوا بها منهم: علي وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وخباب بن الأرت وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وأبو موسى الأشعري والبراء بن عازب والمغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير وأبو الطفيل وغيرهم [1].

ولقد كانت الكوفة قاعدة الجيوش الإسلامية، فلذا نزل بها عدد كبير منهم، وكانت قيادة دار الحديث بالكوفة لعبد الله بن مسعود فقد كان معروفاً بكثرة علمه وطول إقامته بها، وعلى يديه تخرج الكثير من أصحابه من أمثال مسروق بن الأجدع الهمداني وعبيد بن عمرو السلماني الذي قال فيه الشعبي: كان يوازي شريحاً في القضاء والأسود بن يزيد النخعي، وشريح بن الحارث الكندي، وإبراهيم بن يزيد النخعي فقيه العراق وسعيد بن جبير وعامر بن شرحبيل الشعبي علامة التابعين.

مدرسة الحديث بالبصرة:

نزل البصرة كثير من الصحابة رضوان الله عليهم منهم: أنس بن مالك، وابن عباس وعمران بن حصين، ومعقل بن يسار، وعبد الله بن الشخير، وغير

(١) الحديث والمحدثون، علوم الحديث.

هـــؤلاء وتـــزعم دار الحديث بالبصرة أنس بن مالك رضي الله عنه وتخرج من مدرســـة الحديـــث بالبصـــرة من التابعين أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، والحسن البصري، وأدرك خمسمائة من الصحابة ومحمد بن سيرين.

مدرسة الحديث بالشام:

شـــاء الله تعالى للمسلمين أن يفتحوا الشام، فدخل كثر من أهل الشام في الإســـلام، وكانت عناية الخلفاء بالشام عناية فائقة فبعثوا بفضلاء الصحابة إلى الشام ليعلموا الناس ويفقهوهم، يقول أبو مسلم الخولاني: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا فيهم شـــاب أكحل العينين: براق الثنايا ساكت لا يتكلم، فإذا امترى القوم في شيء أقـــبلوا علـــيه فســـألوه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل، ومن الصحابة الذين قاموا بالتعليم في الشام: عبادة بن الصامت وكان أفقه الناس في الدين، وأبو الدرداء وكان من فقهاء الصحابة وحفاظ الحديث وانتشر في الشام كـــثير مـــن الصحابة غير هؤلاء، وعلى هديهم وعلمهم تخرج جيل من فضلاء التابعين منهم أبو إدريس الخولاني، ورجاء بن حيوة.

مدرسة الحديث بمصر:

نـــزل كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مصر، بعد الفتح الإســـلامي، وأشهر الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان من أكابر الصـــحابة حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يمتاز عن غيره بكـــتابة مـــا يسمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم، كما نزل مصر عقبة بن عامر الجهني، وخارجة بن حذافة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ومعاد بن أنس الجهني وغيرهم.

وتعلم على أيدي هؤلاء الصحابة كثير من أهل البلاد وتخرج عليهم كثير من التابعين منهم أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني مفتي أهل مصر، ومنهم يزيد ابن أبي حبيب.

وهكـــذا نرى أن الصحابة رضوان الله عليهم قد انتشروا في الأقطار تبعاً لاتســـاع الفـــتوح الإسلامية ، لينشروا أحكام الإسلام وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لزاماً على أئمة الحديث بعد ذلك أن يتتبعوا السنة ليجمعوها مـــن سائر الأقطار المختلفة التي انتشر فيها الصحابة وكان طريقهم في هذا إنما "هـــو الـــرحلة" في طلـــب السنة فشمروا عن ساعد الجد، ورحلوا المسافات الواسعة، وربما قام الواحد منهم برحلات عديدة حتى كان ينسب إلى أكثر من بلد فيقال عنه: المكي ثم المدني ثم الشامي ثم المصري وهكذا إشارة إلى أنه رحل إلى تلك البلاد المتعددة طلباً للحديث الشريف.

الصحابة المكثرون من رواية الحديث

ومـــن بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من أشتهر بالكثرة في رواية الحديث، واصطلح علماء الحديث على أن من روى أكثر من ألف حديث يعد مـــن المكـــثرين، وقد ذكر العلماء سبعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وســـلم عدوهـــم من المكثرين وسنتناول الحديث عنهم بإيجاز وهم أبو هريرة، وعـــبد الله بـــن عمر، وأنس بن مالك، والسيدة عائشة، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله ، وأبو سعيد الخدري.

(١) أبو هريرة

هـــو راويـــة الإسلام وأول المكثرين لرواية السنة النبوية، عبد الرحمن ابن صـــخر، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فلما أسلم سماه رسول الله

صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، وكنى بأبي هريرة، لأنه كان يرعى الغنم ومعه هرة صغيرة يعطف عليها ويرفق بها ويصحبها. قدم أبو هريرة رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر وذلك في سنة سبع من الهجرة في شهر المحرم وأسلم، وكان عمره أنذاك نحواً من ثلاثين سنة، وكان أبو هريرة رضي الله عنه أحفظ من روى الحديث. وقد وهبه الله تعالى ذاكرة قوية واختاره لحفظ أكبر ثروة طائلة من الحديث النبوي.

وقد هيأ لحفظ تلك الثروة الهائلة من السنة بفضل مواظبته على حضور مجالس النبي صلى الله عليه وسلم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : "إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إني كنت امروا مسكيناً صحبت النبي صلى الله عليه وسلم على ملء بطني وكان المهاجرين يشغلهم الصفق في الأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أحوالهم فحضرنا من النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً فقال: من بسط رداه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني؟ فبسطت بردة علي حتى قضى حديثه ثم قبضتها إلي فوالذي نفسي بيده ما نسيت منه شيئاً بعد"[1].

وإلى جانب محافظته على حضور مجالس النبي صلى الله عليه وسلم كان ذا رغبة قوية في العلم، حتى حظي بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وعدم النسيان، فمع أنه لم تطل صحبته بالرسول صلى الله عليه وسلم ولم تتجاوز ثلاث سنين إلا أنه كان أكثر الصحابة رواية للحديث روى رجلاً جاء إلى زيد بن ثابت فسأله عن شيء فقال: عليك أبا هريرة فإني أنا جالس وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله ونذكره إذ دخل علينا النبي صلى

(١) رواه الشيخان.

الله عليه وسلم حتى جلس إلينا، فسكتنا، فقال: عودوا للذي كنتم فيه، قال زيد: فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا، ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك ما سألك صاحباي وأسألك علماً لا ينسى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين، فقلنا: يا رسول الله، ونحن نسأل الله تعالى علماً لا ينسى، فقال: سبقكما بها الغلام الدوسي"[1].

وإلى جانب هذا فقد مد الله في عمر أبي هريرة فعاش سبعة وأربعين عاماً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك أبو هريرة أيضاً كبار الصحابة رضي الله عنهم وأخذ منهم وروى عنهم. كما روى كثير من الصحابة عن أبي هريرة قال البخاري: روى عن أبي هريرة نحو من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم. وعدد ما رواه أبو هريرة من الأحاديث خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً، اتفق الشيخان على ثلاثمائة وخمسة وعشرين وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين ومسلم بمائة وتسعة وثمانين.

(٢) عبد الله بن عمر

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي، وأمه زينب بنت مظعون ابن حبيب الجمحي أخت عثمان بن مظعون، ولد في السنة الثانية أو الثالثة من المبعث، وأسلم قديماً وهو صغير، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وشهد من بعده اليرموك وفتح مصر وأفريقيا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمه زيد وأخته حفصة أم المؤمنين وأبي بكر وعثمان

(١) رواه النسائي.

وعلي . وروى عنه من الصحابة ابن عباس وجابر، ومن التابعين أولاده الأربعة بـــلال وحمـــزة وسالم وعبد الله ومولاه نافع وأسلم مولى عمر. وقد أقام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين ستة، وكانت الوفود تقدم عليه.

وكان لتقدم إسلامه، وزهده في الدنيا وفي الإمارة، واتصاله برسول الله صلى الله عليه وسلم كان لكل هذا أكبر الأثر في كثرة أحاديثه.

وهو أحد العبادلة الأربعة الذين اشتهروا بالإفتاء وكل واحد منهم يسمى عبد الله ، والثلاثة الباقون هم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير وهو يلي أبا هريرة في كثرة أحاديثه، وعدد مروياته ٢٦٣٠ حديـــثاً ثلاثـــون وســـتمائة وألفا حديث ، وأصح الأسانيد عنه تلك السلسلة المشـــهورة المعروفة بالسلسلة الذهبية وهي: مالك عن نافع عن ابن عمر، وعد بعـــض العلماء هذه السلسلة أصح الأسانيد على الإطلاق، وأضعفها محمد بن عبد الله بن القاسم عن أبيه عن جده عنه.

وكانت وفاة عبد الله بن عمر سنة ثلاثة وسبعين من الهجرة.

(٣) أنس بن مالك

هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي البخاري وقـــد جاءت به أمه أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين ليخدمه، فكان نعم الخادم الأمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ أنـــس في بيـــت النبوة نشأة طاهرة مباركة، شاهد فيها ما لم يشاهده غيره من أحـــوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وقد سعد بمعاملته الكريمة له، يقـــول: لم يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فعلته لم فعلته؟ ولا عن شيء تركته لم تركته؟

ولم يحضر أنس غزوة بدر الكبرى لصغر سنه، ولكنه شهد كثيراً من الغزوات بعد ذلك، وقال أبو هريرة عنه: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن سليم (يعني أنسا).

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن رواحة وثابت بن قيس بن شماس وأبي ذر وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأمه أم سليم وغيرهم.

وروى عنه الحسن وسليمان التيمي وأبو قلابة وإسحاق بن أبي طلحة ومحمد بن سيرين ويحيى بن سعيد الأنصاري وسعيد بن جبير.

وقد حظي أنس بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بكثرة ماله وولده ودخوله الجنة، قال أنس: فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة، وقد عاش أنس رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثمانين عاماً، وقد مكنه هذا العمر الطويل من تحصيل كثير من الحديث عن كبار الصحابة، كما مكنه ذلك أيضاً من نشر الحديث بين الناس وتبليغه لهم.

وقد تخرج على يدي هذا الصحابي الجليل أنس بن مالك كثير من أئمة الحديث أمثال الحسن وابن سيرين وحميد الطويل وثابت البناني وغيرهم من التابعين.

وقد روى من الأحاديث ستة وثمانين ومائتين وألفي حديث (٢٢٨٦) اتفق الشيخان منها على مائة وثمانية وستين، وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين ومسلم بواحد وسبعين وأصح أسانيده: ما رواه مالك عن الزهري عنه، وأضعف أسانيده: ما رواه داود بن المحبر عن أبيه عن أبان بن أبي عياش عنه.

وتوفي رضي الله عنه سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، خارج البصرة على نحو فرسخ ونصف، ودفن في موقع يعرف بقصر أنس.

(٤) السيدة عائشة أم المؤمنين

هي أم المؤمنين السيدة الفاضلة عائشة بنت أبي بكر الصديق، عبد الله ابن عثمان بن عمرو بن سعيد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية، بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرها تسع سنين، ودخل بها في شهر شوال من السنة الأولى، وكان قد خطبها من أبيها وهي بنت ست سنين وقيل: سبع، وكانت نامية الجسم ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً سواها. وقد أراه الله تعالى إياها في المنام مرتين. كما ثبت في السنة الصحيحة، قال صلى الله عليه وسلم لعائشة: "أريتك في المنام مرتين إذا رجل يحملك في شرفة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشفها فإذا هي أنت فأقول: "إن يكن هذا من عند الله يمضه" وقد وهبها الله تعالى عقلاً واعيا وذاكرة قوية حافظة فكانت عالمة بأحكام الشريعة حافظة للأحاديث وكيف لا وقد أخذت علمها وروت ما روت وعاشت ما عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فروت عنه واستوعبت ما لم يستوعبه غيرها، فكانت من المكثرين لرواية الحديث النبوي الشريف.

وتلى - في كثرة روايتها - أنس بن مالك يقول مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض. وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً ويقول هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، وكانت رضي الله عنها متفقهة ملمة بالأحاديث النبوية روت (٢٢١٠) عشرة ومائتين وألفي حديث اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين

ومسلم بثمانية وستين.

وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبيها وعمر وفاطمة وسعد بن أبي وقاص وروى عنها عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وابن عباس وصفية بنت شيبة وعبد الله بن عامر وغيرهم. ومن آل بيتها: أختها أم كلثوم وأخوها من الرضاع عوف بن الحارث وابن أخيها القاسم وعبد الله بن محمد بن أبي بكر. ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب وعمر بن ميمون وعلقمة بن قيس ومسروق وعبد الله بن حكمي وأصح أسانيدها ما رواه يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن عمر بن حفص عن القاسم بن محمد عنها. وما رواه الزهري أو هشام بن عروة عن عروة بن الزبير عنها.

وأضعف أسانيدها: ما يرويه الحارث بن شبل عن أم النعمان عنها.

وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة سبع وخمسين من الهجرة.

(٥) عبد الله بن عباس

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام، فأبوه هو العباس بن عبد المطلب، وأمه هي أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت أم المؤمنين ميمونة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: وهو ابن خمس عشرة سنة، ورغم صغر سنه فقد تمكن من تحصل الكثير، واستفاد من معاشرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلاطه به بحكم قرابته منه، فكثرت روايته عن صلى الله عليه وسلم.

وكانت نفسه تواقة للكتاب والسنة، وكان شغوفا بالعلم ورواية الحديث حتى كان ترجمان القرآن وحبر الأمة، ولا غرابة في هذه المكانة إذا علمنا أن

الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعا له بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" هذا بالإضافة إلى موهبته وقوة ذاكرته، وكثرة سؤاله وتحصيله للعلم، وقد سئل ابن عباس: بم نلت العلم؟ فقال: "بلسان سؤول، وقلب عقول".

وقد عاش رضي الله عنه بعد أن لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ثمانية وخمسين عاماً ومكنه هذا العمر من التحمل والأخذ عن كبار الصحابة وصغارهم، عن عبد الله بن عباس قال: "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير، قال: واعجبا لك، أترى الناس يفتقرون إليك؟ فقال: فتركت ذلك الرجل وأقبلت أسأل فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي من التراب فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني" رواه الدارمي.

وروى عنه من الأحاديث ألف وستمائة وستون حديثاً ١٦٦٠ اتفق الشيخان على رواية خمسة وتسعين منها، وانفرد البخاري بمائة وعشرين ومسلم بتسعة وأربعين، وقد ذكر النسائي أن أصح أسانيده في الحديث ما رواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس.

وأضعفها ما يرويه محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح وهذه تسمى سلسلة الكذب.

ومن طرقه الجيدة في التفسير: طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي وهي التي

اعتمدها البخاري فيما علقه ابن عباس، وكانت نسخة التفسير المروية بهذه الطريقة عن ابن عباس في مصر عند أبي صالح كاتب الليث، يرويها معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ويرويها كاتب الليث عن معاوية وهذه النسخة هي التي قال عنها الإمام أحمد بن حنبل: "بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل إلى مصر قاصدا ما كان كثيراً".

وقد كف بصره رضي الله عنه في أخريات حياته، وتوفي بالطائف عن ٨٤ سنة وستين من الهجرة.

(٦) جابر بن عبد الله الأنصاري

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعلي وأبي عبيدة وأبي هريرة وخالد بن الوليد وروى عنه أولاده عبد الرحمن وعقيل ومحمد وسعيد بن المسيب ومحمود بن لبيد وعمرو بن دينار والحسن البصري وعروة بن الزبير وعطاء بن أبي رباح، وشهد جابر العقبة الثانية مع أبيه وشهد معظم الغزوات ولكنه لم يشهد غزوة بدر ولا غزوة أحد. وكانت له حلقة في المسجد النبوي بالمدينة المنورة.

روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أربعين وخمسمائة وألف حديث (١٥٤٠) واتفق البخاري ومسلم منها على ستين حديثاً، وانفرد البخاري بستة وعشرين حديثاً، ومسلم بمائة وستة وعشرين حديثاً، وأصح الأسانيد عنه. ما رواه أهل مكة من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عنه. وكانت وفاته بالمدينة المنورة عام أربع وسبعين من الهجرة رضي الله عنه.

(٧) أبو سعيد الخدري

هـو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن الأجر، وكنيته أبو سعيد، كان رضي الله عنه شجاعاً في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم وبايع على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان شجاعاً مقداماً في الجهاد في سبيل الله عرض يوم أحد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة فرده الرسول صلى الله عليه وسلم لصغر سنه وفي غزوة بن المصطلق خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، لقد شهد غزوة الخندق وما بعدها، وورد المدائن في زمان حذيفة، وكان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة وفضلائهم الورعين والبارعين في العلم والفقه والحديث.

وقد روى لأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث ومائة وسبعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على ستة وأربعين، وانفرد البخاري بستة عشرة ومسلم باثنين وخمسين حديثاً.

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت.

وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عمر وابنه عبد الرحمن ونافع مولى ابن عمر ومن التابعين ابن المسيب وعطاء بن زيد وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وكان منهجه في الرواية هو منهج الصحابة رضي الله عنهم في التثبت من الراوي والمروي فما اطمأنوا إليه قبلوه وما لم يطمئنوا إليه طلبوا عليه شاهداً وكان تثبتهم قائماً على ميزان النقد العلمي الصحيح، وكان أبو سعيد رضي الله عنه يقول: تحدثوا فإن الحديث يذكر بعضه بعضاً، وكان إذا سأله الناس أن يكتبوا عنه ما يسمعون أجابهم بقوله "لن تكتبوه ولن تجعلوه قرآنا ولكن احفظوا عنا كما حفظنا".

وتوفى أبو سعيد رضي الله عنه سنة أربع وسبعين من الهجرة.

السبب في تفاوت الصحابة في الرواية

قلة وكثرة

تـــرجع الأسباب العامة في تفاوت مرويات الصحابة رضي الله عنهم قلة وكثرة إلى أمور منها:

اشـــتغال بعض الصحابة بالخلافة وبالجهاد في سبيل الله كما هو الحال في الخلفاء الأربعة وغيرهم كطلحة والزبير فقلت مروياتهم بينما تفرغ البعض الآخر مـــن هذه المهام وانقطع للعلم والحديث فكثرت مروياته كما هو الحال بالنسبة لأبي هريرة وعائشة وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم.

كمـــا أن بعـــض الصحابة طالت صحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وكثرت ملازمتهم له، وعاشوا بعده عمراً طويلاً فكان ذلك سبباً لكثرة حديثهم كابن مسعود وأبي هريرة وابن جابر بن عبد الله وأنس وابن عمر، وعلى العكس قلت رواية من مات في عهد النبوة أو لم تكثر ملازمته أو صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم .

كما كثرت الرواية أيضاً بتجدد الحوادث واحتياج الناس إلى بيان الأحكام فأسرع الصحابة إلى إظهار ما عندهم من العلم ومن الأحاديث.

وكان بعضهم كعلي بن أبي طالب قليل الرواية وقد دعا إلى تقليل روايته وروايـــة أمـــثاله ظهور الفتنة والكذب من بعض الفرق فكان التشدد في قبول الرواية والتقليل منها.

كما كان لكثرة الأتباع أكبر الأثر في كثرة ما يروى عن الصحابي وكان لقلتهم أثرها في قلة ما يروى عنه كعثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومـــن ذلك أيضاً قوة الحافظة وكتابة الحديث لدى البعض كان ذلك من

عوامـــل الإكـــثار، بيـــنما كان التفرغ للعبادة والتحرج من الرواية من عوامل الإقلال وقد يكون الطريق إلى الصحابي ضعيفاً فيترك أصحاب الصحيح تخريج حديثه كما في أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة.

وقال الإمام محمد بن سعد في الطبقات: "قال محمد بن عمر الأسلمي قلت الرواية عن الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم ماتوا قبل أن يحتاج إليهم وإنما كثرت عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب لأنهما وليا فسئلا وقضيا بين الناس..".

والحـــق أن كـــل صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم عدول يقتدى بهم ويهـــتدي ولا يقلل من شأنهم قلة ما روى عنهم بعد أن وقفنا على سبب القلة مـــن الرواية وأنهم كانوا غاية في الحيطة والدقة والحفاظ على الأحاديث والسنن والأحكام فرضي الله تعالى عنهم أجمعين.

أثر أمهات المؤمنين في نشر السنة

لأمهـــات المؤمنين أثر هام في نشر السنة النبوية الشريفة؛ فقد قمن بتبليغ كـــثير من الأحكام والأحاديث والسنن التي لولاهن لما وصلت إلينا، وبالأخص تلـــك الأفعـــال التي كانت تقع بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهن من الأمور الخاصة التي لا يمكن لأحد أن يطلع عليها ولا أن يقف على أحكامها.

ومـــن أجل تلك المهمة العالية والرسالة الكبرى التي اضطلعت بها أمهات المؤمنين فإن الله سبحانه وتعالى قد وجه أمره الإلهي إليهن بالاستقرار في بيوتهن ومذاكـــرة الكتاب والسنة ومدارستهما، قال سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَـــبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ۞ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ (١).

يقول قتادة وغيره: واذكرن هذه النعمة التي خصصن بها من بين الناس أن الوحي يترل في بيوتكن دون سائر الناس، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها أكـــثر أمهات المؤمنين بهذه الغنيمة وأخصهن من هذه الرحمة، فإنه لم يترل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها، ويقول ابن جرير رحمه الله في الآية السابقة: واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة وهي السنة.

وهذه أم سلمة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه عـــلى المنبر، قالت: وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي

(١) الأحزاب: ٣٣، ٣٤.

حجرة بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فإذ هو يقول عند المنبر: "يا أيها الناس إن الله تعالى يقول: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.. ﴾الآية رواه أحمد والنسائي وابن جرير.

ومن بين الحكم العالية التي أباح الله للرسول صلى الله عليه وسلم بسببها الزواج بأكثر من أربع زوجات وخصه بذلك وحده دون غيره من سائر الأمة قيام أمهات المؤمنين بالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالأخص الأمور التي لا يراها أصحابه ولا يطلع عليها إلا أمهات المؤمنين ومن أجل ذلك كان الصحابة رضي الله عنهم إذا استشكلت عليهم مسألة من المسائل أو اختلفوا في حكم من "الغسل" أو "الحيض" أو نحو ذلك يسألون أمهات المؤمنين، فكان لأمهات المؤمنين فضل عظيم في نشر كثير من الأحاديث والسنن والأحكام التي لا يمكن الإطلاع عليها إلا عن طريقهن وقد كن على جانب كبير من العلم والمعرفة والتفقه في الدين والذكاء والفهم لا سيما السيدة عائشة رضي الله عنها.

عن ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه.

وتظهر أهمية الدور الذي لأمهات المؤمنين في نشر الأحكام والسنن عندما كان بعض النساء يستحيين من سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أمورهن، ولكنهن كن يتعرفن على ما يروى من أمهات المؤمنين لأنهم على صلة دائمة بالرسول صلى الله عليه وسلم ومكانتهن منه كزوجات تمكنهن من التعرف على شتى أنواع الأحكام بلا استثناء رضوان الله تعالى عليهن.

أشهر الرواة من التابعين[1]

ومن أشهر رواة التابعين بالمدينة المنورة: سعيد بن المسيب الذي توفى سنة (٩٣هـ) وعروة بن الزبير (٩٤هـ) ونافع مولى ابن عمر (١١٧هـ) وابن شهاب الزهري (١٢٤هـ).

ومن أشهرهم بمكة المكرمة عكرمة مولى ابن عباس (١٠٥هـ) وعطاء بن أبي رباح (١١٥هـ) وبالكوفة الشعبي عامر بن شراحبيل (١٠٤هـ) وإبراهيم النخعي (٩٦هـ) وبالبصرة الحسن بن أبي الحسن البصري (١١٠هـ) ومحمد بن سيرين (١١٠هـ)، وبالشام عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) ومكحول (١١٨هـ) وكعب الأحبار (١٣٢هـ) وبمصر أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني (٩٠هـ) ويزيد ابن أبي حبيب (١٢٨هـ) وباليمن طاوس بن كيسان اليماني (١٠٦هـ) ووهب بن منبه (١١٠هـ) رضي الله عنهم جميعاً.

---

(١) الحديث والمحدثون د/ محمد أبو زهو.

مناهج المحدثين في القرن الثاني الهجري

منهج تدوين السنة

في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز

لقد هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتابة الحديث، واستشار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، فأشاروا عليه فطفق يستخير الله في ذلك مدة ثم عدل عن ذلك، روى البيهقي — في المدخل — عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن واستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن وأني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً".

وأما هؤلاء القوم الذين أشار إليهم عمر رضي الله عنه في قوله: فهم أهل الكتاب وقد خاف إذا حدث التدوين أن تكون النهاية كسابقيهم من أهل الكتاب حين كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا: هذا من عند الله وتركوا كتاب الله وراءهم ظهريا وفي شأنهم قال الله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

واستمر حال السنة على ذلك حتى انتشر الإسلام واتسعت الفتوحات وتفرق الصحابة في الأقطار، وخيف على السنة أن يضيع منها الكثير بموت الصحابة، وبظهور بعض أهل الأهواء بعد ذلك، وبظهر جيل آخر جديد لا يجيد

(١) البقرة: ٧٩.

الضبط أو الحفظ بسبب اختلاط العرب بغيرهم فدعت الحال إلى تدوين الحديث النبوي خاصة وأن القرآن قد تركز في القلوب وصار يتلى لدى العامة والخاصة، فلم يعد هناك خوف من التباسه بغيره.

وفي هـــذه المرحلة أراد الإمام العادل عمر بن عبد العزيز أن يدون السنة وذلك حين أفضت الخلافة إليه في العام التاسع والتسعين من الهجرة، فكتب إلى بعـــض عـــلماء الأمصـــار يأمرهم أن يجمعوا الأحاديث، كما كتب إلى أقطار الإسلام: "انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه".

وكتـــب إلى أبي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله علـــيه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا يقبل إلا حديـــث النبي صلى الله عليه وسلم ، وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً.

كما أوصاه أن يكتب له بما عند القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمر بن شـــهاب الزهـــري وغـــيره بجمع السنن، فكتبوها مستجيبين لأمر الخليفة الذي تجاوبت معه قلوبهم.

وهكـــذا أتم الله تعالى على يد عمر بن عبد العزيز تنفيذ رغبة جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي عدل عنها خشية التباس السنة بالقرآن الكريم.

وأمـــا عـــن منهجهم في التدوين آنئذ فإنه يقوم على وحدة الموضوع، فـــيجمعون الأحاديث التي تتصل بموضوع واحد، فيجعلونها في مؤلف خاص، فكان لكل باب من أبواب العلم مؤلف قائم به، فمثلاً كتاب الصلاة، وكتاب للزكاة، وآخر للصوم، وهكذا.

وهذه المصنفات وإن لم تقع في أيدينا اليوم إلا أنه من الواضح أن العلماء

قد أدمجوها في مصنفاتهم، فقد كانت محفوظة لهم، كما هو معهود فيهم من قوة حافظتهم وشدة حرصهم.

وقد أخلص الإمام الزهري نيته وعمله لله ولرسوله في تدوين السنة، والتنبيه على العناية بها وبأساليبها.

وقد كان عمل الإمام الزهري بعناية حجر الأساس لتدوين السنة في كتب خاصة، وأخره على تسليم الأمانة كاملة للجيل الذي بعده كان يخرج لطلابه الأجزاء المكتوبة ليرووها عنه.

وأما بعد الإمام الزهري، فقد تناول الأئمة رسالته؛ وأخذوا يتمون ما بدأه وشاع التدوين في الطبقة التي تليه، وتعاون الأئمة والعلماء في المدن الإسلامية، في مكة والمدينة والبصرة والشام ومصر واليمن وخراسان.

واضطلع الأئمة من أمثال ابن جريج بمكة، ومالك بالمدينة، وسفيان الثوري بالكوفة وغيرهم بالمهمة الملقاة على عاتقهم فأكملوا ما بدأه الزهري.

وأما منهج أهل هذه الطبقة في التدوين، فإنه يقوم على جمع أحاديث كل باب من أبواب العلم على حدة، ثم ضموا الأبواب بعضها إلى بعض فكانت مصنفاً واحداً.

وجمعوا في مصنفاتهم إلى جانب الأحاديث أقوال الصحابة وفتاوى التابعين وأما من جاء بعد هؤلاء الأئمة من أهل عصرهم فقد سار على دربهم ونسج على منوالهم إلى أن رأى بعض الأئمة إفراد الحديث خاصة على رأس المائتين ثم جاءت طبقة أخرى دونت السنة في كتب خاصة تحروا في تدوينها الصحيح على شروطهم وبهذا يتضح أن تدوين السنة لم يأخذ وضعه في الظهور والتصنيف تماماً إلا في منتصف القرن الثاني في خلافة بني العباس وإن كان قد

بدأ قبل ذلك.

وكان لتدوين السنة على هذه المراحل أثره البالغ في حفظها من الدخيل ومن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كان لتدوين السنة على هذه المراحل أثره حيث سهل الطريق للاجتهاد والاستنباط.

منهج الإمام أبي حنيفة

مـــن أئمـــة القرن الثاني الهجري الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان ولد سنة ثمانين من الهجرة وعاش إلى سنة خمسين ومائة.

والـــتقى أبو حنيفة رضي الله عنه ببعض الصحابة رضوان الله عليهم من أمـــثال أنس بن مالك الذي توفى سنة ثلاث وتسعين، وسهل بن ساعد المتوفى سنة ثمان وثمانين وأبي الطفيل المتوفى سنة اثنين ومائة وعلى هذا فأبو حنيفة يعد مـــن التابعين على رأي من يكتفي في التابعي بأنه من لقي الصحابة وإن لم تكن بيـــنهما صحبة، وأما على الرأي القائل بأن التابعي من رأي الصحابي، وحدثت بيـــنهما صحبة وتلقى عنه فلا يكون تابعياً إلا إذا رجعنا ما يقال بأنه روى عن بعض الصحابة المذكورين وهذا ما لم يذهب إليه كثير من العلماء.

وعلى آية حال، فمهما يكن الأمر في شأن روايته عن الصحابة، فالعلماء مجمعـــون على أنه التقى بالتابعين وجالسهم، وروى عنهم، وأخذ فقههم، وقد اختلفـــت مناهج الذين روى عنهم، فقد كان من بينهم من هو مشهور بالأثر كالشعبي، وكان من بينهم من هو مشهور بالرأي وهم كثيرون وكان أبو حنيفة مولعـــاً بالمـــناظرة والجـــدل منذ شب في طلب العلم روى أنه جادل نحو اثنين وعشرين فرقة وجادل وهو كبير دفاعاً عن الدين وروى أنه جادل الدهرية مرة، فـــأفحمهم ووجههم إلى الإيمان بالله الخالق قال لهم: "ما تقولون في رجل يقول لكـــم: إني رأيت سفينة مشحونة مملوءة بالأمتعة والأحمال قد احتوشتها في لجة الـــبحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية، ليس فيها ملاح يجريها ويقودها، ولا متعهد يدفعها ويسوقها هل يجوز ذلك في العقل؟

فقالوا: لا هذا شيء لا يقبله العقل، ولا يميزه الوهم.

فقـــال أبو حنيفة رحمه الله : فيا سبحان الله إذا لم يجز في العقل وجود سفينة مستوية من غير متعهد ولا بحر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالهـــا وتغـــير أمورها وأعمالها وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها؟

وكـــان أبـــو حنـــيفة من أوائل الفقهاء الذين يقبلون أحاديث الآحاد ويحـــتجون بها ويجعل السنة النبوية بعد القرآن الكريم فيعتمد في فقهه أولاً على القـــرآن الكـــريم ثم على الحديث إن ثبت عنده برواية الثقات، ويقدمه، على القياس.

ومـــنهج أبي حنيفة في قبول خبر الآحاد يقوم على اشتراط كون راويه فقـــيها وألا يخـــالف السنـــة المشهورة ولا المتوارث بين الصحابة والتابعين ولا عمومـــات الكتاب وألا يكون فيما تعم به البلوى ومنه الحدود والكفارات وألا يكون أحد السلف طعن فيه، وألا يعمل الراوي بخلاف خبره، وألا ينفرد بزيادة في الحديث عن الثقات.

ولأبي حنيفة مسنده من الأحاديث مرتب على الأبواب الفقهية، ومبوب عـــلى حسب الأحكام، وقد رجح كثير من العلماء أن هذا المسند المنسوب إلى أبي حنيفة من رواية أصحابه عنه، تلقوه كما تلقوا فقهه بأن دونوا ما يذكره لهم في درسه ثم جمعوا تلك المرويات فرتبوها وبوبوها ونشروها.

ولكـــن الحـــافظ ابـــن حجر يقرر في كتاب "تعجيل المنفعة" أن المسند المنســـوب إلى أبي حنـــيفة ليس من جمعه وأن الموجود من حديثه إنما هو كتاب الآثـــار الذي رواه محمد بن الحسن، ويوجد في تصانيف محمد بن الحسن وأبي يوسف قبله من حديث أبي حنيفة أشياء أخرى.

وأما صاحب كشف الظنون فقد ذكر رواية مسند أبي حنيفة وأشار إلى ما ذكره الخوارزمي المتوفى سنة ٦٦٥هـ حين سمع البعض ينسب إلى أبا حنيفة إلى قلة رواية الحديث مستدلا بمسند الشافعي وموطأ مالك وأن أبا حنيفة لا مسند له فجمع خمسة عشر من مسانيده التي جمعها له فحول العلماء.

وقام بتدوينها على ترتيب أبواب الفقه وحذف المكرر والمعاد، وترك تكرير الإسناد هذا هو ملخص منهج هذا المسند في التدوين وهذا المسند لم تكن إضافته إلى أبي حنيفة كإضافة الموطأ إلى مالك إذ أن مسند أبي حنيفة روايات عنه لم يجمعها ولم يبوبها وإنما رتبها وبوبها من رواها.

أما الموطأ فإن الإمام مالكاً رضي الله عنه قد دونه ورواه عنه غير مبوباً ومرتباً، وكون مسند أبي جنيفة ليس كذلك لا يقدح في صحة نسبته وذكر العلماء لأبي حنيفة مسانيد أخرى للدارقطني وابن شاهين والخطيب وابن عقدة ومسند أبي حنيفة لابن عقدة يشتمل على ألف حديث.

وفي هذا كله ما يرد عنه ما قيل من أنه قليل البضاعة في الحديث وأنها دعوى باطلة يقول الحافظ محمد بن يوسف الصالحي الشافعي محدث الديار المصرية: "كان أبو حنيفة من كبار حفاظ الحديث وأعيانهم ولولا كثرة اعتنائه بالحديث ما تهيأ له استنباط مسائل الفقه"، وذكره الذهبي في طبقات الحفاظ.

وأما السبب في قلة الرواية عنه فلأنه كان مشتغلاً بالاستنباط، وكذلك لم يرو عن مالك والشافعي إلا القليل، بالنسبة إلى ما سمعاه لهذا السبب.

وهو وإن لم يدون حديثه وفقهه بنفسه إلا أنه أشار على أصحابه وتلاميذه بالتدوين وأرشدهم إلى ذلك: فكان هذا التوجيه منه بمثابة تدوينه هو لدرجة أنه جاء في المناقب للمكي ما نصه: "أبو حنيفة أول من دون علم هذه

الشـــريعة، والمقصـــود بالـــتدوين ما صنعه تلاميذه بإرشاد منه، حيث رأى أن الصحابة والتابعين لم يضعوا الكتب اعتماداً على حفظهم وفهمهم فخاف ضياع العـــلم بعد ذلك بموت العلماء، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقـــبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".

منهج الإمام سفيان الثوري

ومن أئمة الحديث في القرن الثاني الهجري: الإمام أبو عبيد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من تابعي التابعين، أجمع العلماء على إمامته في الحديث والفقه يقول عنه أبو عاصم: الثوري أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة سبع وتسعين وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة من الهجرة.

وللثوري منهجه في تحمل الحديث وأخذه وتدوينه وجمعه، فقد حرص على كتابته بيده مخافة الوقوع في وهم أو خطأ، هذا مع حفظه القوي أي أنه ما كان يكتفي بالحفظ وحده ولا بالكتابة وحدها بل يرى من تمام الحيطة للحديث والمحافظة عليه أن يجمع بين الحفظ والكتابة.

ولكنه في كتابته للحديث تميز بمنهج قويم، يميز فيه أنواع ما يكتبه، فيكتب الحديث الصحيح ليميز صحته للناس فيتخذ دينا، وأما ما يتوقف في صحته فإنه لا يطرحه بل يكتبه لعل من بعده يصل إلى معرفة درجته، كما يكتب الضعيف ليعرف الناس به حتى لا يلتبس بالصحيح، وحتى لا يأتي أحد الكذابين فيضع له إسناداً صحيحاً ليوهم الناس به يقول رحمه الله : "إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه: حديث أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به"[1].

كما عنى عناية فائقة بالإسناد وهو الطريق الموصلة إلى متن الحديث ولفظه فهو يشترط في سلسلة الإسناد وهم الرجال أن يكونوا ثقات، بأن يكونوا عدولاً ضابطين فإذا لم تتحقق ثقة الراوي أو الثقة بمن روى عنه لا يقبل حديثه، وعلى طالب الحديث لا يأخذ مثل هذا.

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد الله.

وفي هذا يقول سفيان رحمه الله: "إذا حدثك ثقة عن غير ثقة فلا تأخذه، وإذا حدثك غير ثقة عن ثقة فلا تأخذه، وإذا حدثك ثقة عن ثقة فخذه"[1].

ونظرته إلى إسناد الحديث هامة ودقيقة، فهو يقول: الإسناد سلاح المؤمن إذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل.

ومن مصنفاته: "الجامع الكبير" وهو من أوائل ما صنف في الإسلام، وقد ظهر كتابه في الكوفة فكان أول كتاب فيها، وكان مكونا من كتب وكل كتاب تحته أبواب يشتمل عليها.

واختصر الإمام الثوري كتابه "الجامع الكبير" في كتابه "الجامع الصغير" ومن مصنفاته أيضاً "الفرائض" وهو يتكون من أبواب ذكر في كل باب آراء بعض الصحابة الذين أفتوا في تلك المسائل، وله كذلك كتاب التفسير وسوره مرتبة على الترتيب العثماني.

وقد جلس الإمام سفيان الثوري للتدريس في سن مبكرة، وأول جلوسه للتدريس بخراسان وهو ابن ثمان عشرة سنة، وفي هذا دلالة على حسن تحصيله وحفظه، وغزارة علمه.

ودرس الحديث في مكة المكرمة وفي اليمن والبصرة والشام، وكان يدرس في مكة المكرمة في المسجد الحرام، وكان مجلسه العلمي يضم عدداً كبيراً من طلاب العلم بل ومن كبار المحدثين من أمثال ابن عيينة، وزهير، وإسماعيل بن أبي خالد، وفي حرص من كبار المحدثين على حضور مجلسه ما يدل على تقدير العلم والحرص على تحصيله بحيث لا يترفع عن التعلم أحد مهما كانت منزلته في العلم ومهما كان عمره، فالعلم لا حدود له، يطلبه الإنسان من المهد إلى اللحد.

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

وكـــان مجلســـه العلمي في المسجد الحرام يقدر بنحو خمسمائة وكان إذا جلس يستقبل القبلة، ويلتف الحفاظ حوله، ويتخير للقراءة أفصح القراء لساناً، فيقول: ليقرأ علي أفصحكم لساناً، فأني أسمع اللحنة فيتغير لها قلبي.

وفي هذا حرص شديد على استقامة اللسان، وسلامة النطق والمحافظة على قواعـــد اللغـــة، لما في ذلك من سلامة المعنى، وزيادة إيضاحه، وتقرير الحقائق العلمية دون لبس أو غموض.

وفي عصر سفيان صنفت كتب مرتبة على أبواب الفقه، اشتملت على السنن وما له صلة بها منها ما هو "مصنف" ومنها ما هو "جامع" كجامع سفيان، وجامع أبي عروة معمر بن راشد المتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وكتاب الآثار لمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة.

ومـــنها كذلـــك كتـــب نهجـــت على جمع أحاديث الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب والفضائل ككتاب الذكر والدعاء لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة.

منهج ابن المبارك

ومـــن بين المصنفات التي صنفت في القرن الثاني الهجري، كتب في أبواب مخصوصـــة أي أنهـــا ليس جامعة كالجوامع الأخرى التي تجمع بين العديد من الأبـــواب، وتكون مرتبة، ترتيباً فقهيا بل إنها في أبواب مخصوصة وموضوعات معيـــنة، ولهذا المنهج ثمرته في استقصاء ما يتصل بموضوعه من الأحاديث، ويعتبر مـــرجعاً أصـــيلاً في بابه، كما كان لهذا المنهج أثره في جمع الطرق والروايات المتعددة في الموضوع الواحد مما يساعد المصنفين على الأبواب، والمؤلفين لجوامع الكتب على تناول ما يحتاجون إليه من الأحاديث بسهولة.

ومـــن صنف في هذا أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي من تابع التابعين ولد سنة ثمانية عشرة ومائة وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائة.

وقـــد جمـــع ابن المبارك بين العلم والعمل، وبين التعليم والتصنيف، وبين العديـــد مـــن خصال الخير ومكارم الأخلاق، ومحامد الفعال، فهو نموذج من النماذج العالية لطلاب العلم والعلماء وقد اجتمع فريق من أصحاب ابن المبارك مـــثل الفضـــل بن موسى ومخلد بن الحسين، فقالوا: تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشـــعر والفصاحة والورع والإنصاف وقيام الليل والعبادة والسلامة في رأيه، وقلة الكلام فيما لا يعنيه، وقلة الخلاف على أصحابه.

وكـــان ابـــن المبارك يعتمد في علمه وفقهه على الكتاب والسنة، وكان يـــتحرى الدقة في أسانيد الحديث، ويرى أن الإسناد من الدين فبالإسناد يتميز صحيح الحديث من غيره.

ولهذا كان يقول: الإسناد عندي من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما

شاء، أي لولاه لاستطاع الوضاعون والكذابون أن يدسوا كما شاءوا. وقد سئل عمن نأخذ؟ قال: من طلب العلم لله، وكان في إسناده أشد.

ومن مصنفاته: "تفسير القرآن" و"السنن في الفقه" وكتاب التاريخ وكتاب الزهد، وكتاب البر والصلة وآخر في الفتاوى وكتاب في الرقائق وكتاب أربعين في الحديث.

ويعتبر كتابه "الجهاد" أول مؤلف صنف في هذا الموضوع في ذلك القرن وموضوع الجهاد من الأبواب الهامة في السنة النبوية، ولا يخلو منه كتاب من كتبها، وقد خصص له كثير من المحدثين مؤلفاً قائماً بذاته ككتاب ابن المبارك وهو كتاب جمع فيه أحاديث الجهاد وأول حديث في الجزء الأول من هذا الكتاب هو ما رواه ابن المبارك بسنده، عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا بيننا، فقلنا: أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله: أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: فهبنا أن يقوم منا أحد، قال: أرسل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً حتى جمعنا، فجعل يشير بعضنا إلى بعض فقرأ علينا ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [1] من أولها إلى آخرها فتلاها علينا عبد الله بن سلام من أولها إلى آخرها، قال هلال فتلاها علينا عطاء بن يسار من أولها إلى آخرها، قال الأوزاعي: فتلاها علينا يحيى من أولها إلى آخرها، ومعلوم ما في سورة الصف من الدعوة إلى الجهاد صفاً واحداً ومحبة الله للمؤمنين المجاهدين كذلك، ثم توضيح ثمرة الجهاد عند الله سبحانه وتعالى.

وأول حديث في الجزء الثاني من الكتاب هو ما رواه ابن المبارك بسنده

---

(١) الصف: ٢.

عـــن موســـى بن أنس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحـــبط أعمـــالكم وأنتم لا تشعرون {٢} إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ قـــال: فقعـــد ثابت بن قيس في بيته وقال لا آراني إلا كنت أرفع الصوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فافتقده النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عنه، فقـــال رجل من القوم إن شئت علمت لك علمه يا رسول الله ، فوجده منكر الوجه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقدك وسأل عنك فقال: إني كنـــت أرفع الصوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية وأنه من أهل النار، فآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قاله، قال موسى بن أنس، فأتاه المرة الثانية، ببشارة عظيمة، فقال له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة.

وهـــذا نموذجـــان لما في الكتاب من الأحاديث عن الجهاد ويبلغ عددها حـــوالي اثنين وستين ومائتي حديث، أخرج الكثير منها الإمام البخاري والإمام مسلم وأصحاب السنن بعد ذلك وغيرهم.

منهج شعبة بن الحجاج

مـــن أئمة الحديث في القرن الثاني الهجري، الإمام الجليل والحافظ الكبير شـــعبة بن الحجاج من تابعي التابعين، ومن أعلام المحدثين، وكبار المحققين ولد على الأرجح سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، وتوفى سنة ستين ومائة، وقد تلقى الحديث عن أنس بن سيرين وعمرو بن دينار والشعبي وغيرهم من التابعين وغير التابعين، وأخذ عنه الحديث الأعمش وأيوب السختياني ومحمد بن إسحاق من الـــتابعين، وممن أخذ عنه من كبار الأئمة، الثوري وابن مهدي ، ووكيع وابن المبارك.

قـــال عنه الإمام أحمد: لم يكن في زمن شعبة مثله في الحديث ولا أحسن حديثا منه قسم له منه حظ.

وكـــان لشـــعبة بن الحجاج منهجه في طلب الحديث النبوي يتلخص في حرصـــه الشديد على إسناد كل حديث، وهو يعتبر أول من بحث عن أحوال الـــرواة يقول ابن حبان: شعبة أول من فتش عن أمر المحدثين بالعراق، وجانب الضعفاء والمتروكين حتى صار علما يقتدى به، ثم تبعه عليه بعده أهل العراق.

كمـــا كـــان يتشدد في صيغ السماع، ولا يكتفي بسماع الحديث مرة واحدة، يقول يعقوب بن شيبة: "كان شعبة إذا لم يسمع الحديث مرتين لم يعتد بـــه ضبطا منه واتقانا" كما كان يترك الحديث إذا شك فيه وفي هذا دلالة على تثبته القوي في السنة، ومحافظته الشديدة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكـــان يتخذ من يحدثهم بحديثه، فهو يحدث الناس وطلاب العلم، وإذا عـــلم إنســـانا يشك في إخلاصه للسنة أو عرف أنه لا يعني بالحديث أو أنه قد

يكذب فلا يحدثه حرصا منه على الحديث، وحفاظا على الدين.

وكما كان حريصا في تحديث الغير، فقد كان حريصا في السماع وكان يوجه طلاب العلم وأهل الحديث أن يقصدوا الأئمة المتضلعين في هذا الشأن لأن علم الحديث دين، وبه تعرف أحكام الشريعة مفصلة.

وقد جمع شعبة بين العلم والعمل، وبين الحديث والفقه والورع والزهد وكان له الفضل في نشر الحديث بالعراق، قال الإمام الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق.

ولرسوخ قدمه في هذا العلم وتضلعه فيه، كان الأئمة وكبار المحدثين يعتدون بموافقته فيقول حماد بن سلمة: لا أبالي من يخالفني إذا وافقني شعبة لأن شعبة كان لا يرضى أن يسمع الحديث مرة وإذا خالفني شعبة في شيء تركته.

وكان أول من تكلم في الرجال مدحا وتعديلا ثم تبعه يحيى القطان ثم أحمد ابن حنبل وابن معين، وهذا يدل على تقديه في هذا العلم ولتبحره في علم الحديث يقول عنه الإمام ابن حنبل: كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن، يعني علم الحديث، وأحوال الرواة وقال عبد الصمد: أدرك شعبة من أصحاب ابن عمر نيفا وخمسين رجلا.

وأحاديث كثيرة ومبثوثة في كتب السنة المشهورة التي صنفت بعده كالكتب الستة وغيرها.

وفي هذا دلالة على تأثيره فيمن بعده، وعلى انتفاع الأئمة والحفاظ فضلا عن سائر العلماء والطلاب، وبعلمه وحديثه وفضله.

وقد بلغ ما رواه الإمام البخاري عن طريقه خمسة وستين وسبعمائة حديث لقد كان له الفضل على كثير من أهل العلم والحديث، وكانت جهوده المباركة من أكبر الأعمال لصيانة السنة ونشرها، والحفاظ عليها وتبليغها وتعليم الناس لها والاهتداء بهديها.

الإمام مالك ومنهجه في الموطأ

لقد نشطت حركة تدوين السنة الشريفة، في منتصف القرن الثاني الهجري إلا أن مصـــنفات هذا العصر مما جمعه الزهري ومن تبعه، معظمها قد اندمج في غيره من المؤلفات التي ظهرت بعد ذلك، و لم تصل من مصنفات ذلك العهد إلا القلـــيل، ومن أشهر وأعظم الكتب التي وصلت في ذلك العهد كتاب "الموطأ" للإمام مالك رحمه الله تعالى.

والإمـــام مـــالك، هو أنس بن مالك بن أبي عامر ولد بالمدينة سنة ثلاث وتسعين، وكانت أمه من فضليات النساء الصالحات، فهي التي وجهته إلى طلب العلم، فعندما بلغ سن التعليم عممته وقالت له: اذهب فاكتب (تريد الحديث).

وقد عرف من صغره بحبه الشديد للعلم، وحرصه على جمعه، ولا يمل من طلب الحديث وحفظه واستمرار ملازمة شيوخه، لقد كان يأتي شيخه ابن هرمز مبكرا، ولا يفارق بيته حتى الليل، ولازمه سبع سنين، كما عرف شدة تحريه في روايـــة الحديث ودقته البالغة في أخذه، وتحمله وأدائه، ولا ينقل إلا عن الأثبات الـــثقات وكان يقول إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه، ولقد أدركت ســـبعين ممـــن يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين وأشار إلى المسجد، فما أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت مال لكان أمينا إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن.

ولقد أثنى على صحة روايته وغزارة علمه العديد من العلماء والأئمة، وقد روى عـــنه بعض أقرانه ومن هم أكبر منه سنا وروى عنه الإمام أبو حنيفة وصاحباه، بل روى عـــنه من شيوخه ابن شهاب الزهري وربيعة الرأي ونافع ابن عبد الرحمن القارئ، وهذا كله يشهد له بغزارة العلم، فلم يكن غريبا أن يلقب بإمام الأئمة.

وكـــان الإمـــام مالك رحمه الله معروفا بحبه للسنة الشريفة وتعظيمه لها ولمجلسها فإذا جلس للحديث توضأ وسرح لحيته، وجلس على صدر فراشه في وقار وهيبة.

ولما سئل عن ذلك قال: أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وســـلم، وكما كان يجل الحديث ومجالسه، فقد كان يجل صاحب السنة عليه الصـــلاة والســـلام حيا وميتا فقد روى عنه أنه كان لا يركب دابة في المدينة المنورة تكريما لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان إمام دار الهجرة، واحد الأئمة الأربعة الذين انتشرت مذاهبهم في الأقطـــار الإسلامية ، أجمع الأئمة على إمامته ومكانته في السنة ونقد الرواة واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة.

وفي كل ذلك عرف بالتثبت في الحديث وفي الرجال، فكان موثوقا به في هـــذا المضمار لدرجة أن شيوخه وأقرانه قد أخذوا عنه، ورحل إليه الناس من شتى الأقطار البعيدة طلبا للعلم لثقتهم فيه، ومعرفتهم لنباهة شأنه، وكانت معظم روايـــته عـــن أهل الحجاز، لأنه لم يرحل عن المدينة لأنها مهبط الوحي ومنبع الحديث.

ولقـــد مـــنحه الله تعالى حافظة قوية، وقلبا مخلصا واعيا، فكان غاية في الإتقـــان والضبط، يقول عبد الرزاق في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعا: "يوشـــك أن يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة"، يريد الإمام مالكا رضي الله عنه.

وللإمـــام مالك منهجه الدقيق في تمييز الرجال والعلماء، ومن يؤخذ عنه الحديث منهم ومن لا يؤخذ وله نظرته البعيدة الحكيمة، حيث نظر إلى الاحتياط

في الدين والاحتياط في الإتقان، والإخلاص في العلم والعمل والضبط قال: "لا يؤخـــذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم: لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صـــاحب هوى يدعو إلى بدعته ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كـــان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل، ما يحدث به".

وعرف الإمام مالك بأخلاقه العالية وسجاياه الحميدة، فكان جوادا سخي الـــيد سمحا: تبدو عليه سيما الوقار والحلم، وكان مجلسه تظله السكينة والهيبة، فـــلا شـــيء في مجلسه من المراء ولا اللغط ورفع الصوت، كما عرف بالتواضع وكراهية الشهرة.

ومـــا يدل على تواضعه وإنكاره للذات وإحقاقه للحق، موقفه من الرشيد حين قال له: أردت أن أعلق كتابك هذا في الكعبة، وأفرقه في الأمصار، وأحمل الـــناس علـــيه، فقال له مالك: لا تفعل، فإن الصحابة تفرقوا في الآفاق، ورووا أحاديث غير أحاديث أهل الحجاز وأخذ الناس بها فاتركهم وما هم عليه، فقال له الرشيد: جزاك الله خيرا يا أبا عبد الله .

وتوفي رحمه الله سنة مائة وتسعة وسبعين بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع.

منهجه في الموطأ

يعـــد كـــتاب "الموطـــأ" للإمام مالك من أوائل ما صنف في الأحاديث الصـــحيحة، المرتـــبة على الأبواب، وسمى هذا الكتاب القيم بالموطأ لأنه صنفه ووطـــأه للناس ويسر به العلم ومهده، وقيل لأن مالكا عرضه على سبعين فقيها مـــن فقهاء المدينة فواطئوه عليه — أي وافقوه — فسمي موطأ وروى أن الخليفة المنصـــور لقي مالكا في الحج، وطلب إليه أن يجمع أحاديث الرسول صلى الله

عليه وسلم قائلا له: يا أبا عبد الله ، لم يبق في الناس أفقه مني ومنك، فاجمع هذا العلم، ودونه ووطئه للناس توطئة، وتجنب شدائد عبد الله بن عمرو ورخص عبد الله بن عباس، وشواذ ابن مسعود واقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة.

ولموطأ مكانته، يقول عنه أبو بكر بن العربي: الموطأ هو الأصل الأول واللباب، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي.

وأما منهج الإمام مالك في الموطأ: فيقوم على طريقة التصنيف على الأبواب وأنه يذكر في مقدمة الموضوع ما ورد فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ما ورد فيه من الآثار عن الصحابة والتابعين وقل أن يكونوا من غير أهل المدينة، وأحيانا يذكر بعض الآراء الفقهية له، وأحيانا يذكر ما عليه العمل أو الأمر المجمع عليه في المدينة وقد يأتي بعد ذكر الحديث بتفسير كلمة لغوية أو يبين المراد من بعض العبارات.

ويوضح الإمام منهجه في ذلك، ومراده برأيه فيقول: أما أكثر ما في الكتاب برأيي فلعمري ما هو برأيي، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المهتدي بهم الذين أخذت عنهم وهم الذين كانوا يتقون الله.

ومنهجه بالنسبة للرواة حدده تحديدا واضحا إذ بين من يؤخذ عنه ومن لا يؤخذ عنه، فكان ينتقي الرواة يميز بينهم، ويشترط فيهم شروطه السابقة التي تجمع بين العلم والعمل. وبين العدالة والضبط، فهو يتتبع في الرواة أعلى سمات التوثيق.

ولهذا التحري الشديد في الرجال كان يحيى بن معين، يوثق الرجل لرواية

مـــالك عنه، ويقول علي بن المديني: إذا حدث مالك عن رجل من أهل المدينة ولا نعرفه فهو حجة لأنه كان ينتقي.

وتمـــيز ما جمعه من الأحاديث بالصحة وعدم الغرابة، وكان لما جمعه صلته القوية بالحياة العملية، ولذا اشتدت حاجة الناس إلى علمه على مختلف طبقاتهم.

وأما درجة الموطأ فقد وضح العلماء أن كل أحاديثه صحيحة، وأن أسانيده قد وردت متصلة، وأما ما فيه من المرسل والمنقطع وما جاء فيه من قوله: "بلغني ومن قوله عن الثقة" فقد وصلها العلماء وبينوا ورودها مسندة، سوى أربعة أحاديث تناولها العلماء بالبحث وحكموا بوصلها.

ولـــلموطأ روايـــات كثيرة، ونسخ عديدة من أهمها نسخة يحيى بن يحيى الليثي، ونسخة محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، ونسخة أحمد ابن أبي بكر القاسم قاضي المدينة.

وشـــرح الموطأ كثير من العلماء منه: ابن عبد البر، والسيوطي، والزرقاني، وعبد الحي بن محمد اللكنوي، وقطب الدين أحمد بن عبد الرحيم.

وإليك أيها القارئ الكريم نموذجا مما جاء في الموطأ "ما جاء في الدعاء" عن مـــالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن عائشة أم المؤمنين قالت: كنت نائمة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد يقول: "أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك".

الإمام الشافعي وعنايته بالسنة

ومن كتب السنة التي وصلت إلينا، مما صنف في هذا العهد "مسند" الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وقبل أن نعرف بعناية الإمام الشافعي بالسنة نعرف به، فهـو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب يلـتقي نسبع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ولد بغزة سنة خمسـين ومائة ١٥٠هـ، وتوفى والده وهو صغير، فنقلته والدته إلى مكة وهو ابن سنتين.

وفي مكـة المكرمة قرأ القرآن الكريم وأقام في هذيل نحوا من عشر سنين تعـلم منهم اللغة والشعر وأخذ الفقه والحديث عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة وغيره من الأئمة.

وفي المدينة المنورة أخذ العلم عن الإمام مالك، وقرأ عليه الموطأ، كما أخذ عـن إبراهيم بن أبي يحيى، ولم يلبث أن ذاع صيته وصار يقصده الناس من كل مكان، جلس أحمد بن حنبل مرة معه، فجاء أحد إخوانه يعتب عليه تركه مجلس ابن عيينة شيخ الشافعي، وجلوسه إلى هذا الأعرابي فقال له أحمد: أسكت إنك إن فـاتك حديـث بعلوا وجدته بنزول إن فاتك عقل هذا أخاف ألا تجده، ما رأيت أحدا أفقه بكتاب الله من هذا الفتى".

وقد تولى الحكم بنجران من أرض اليمن، وعاد إلى مكة ثم قدم العراق ثم رجـع إلى مكـة وفي سنة ثمان وتسعين ومائة رحل إلى العراق للمرة الثالثة في أواخـر سنة تسع وتسعين ومائة انتقل إلى مصر فأقام بها إلى ان توفى سنة ٢٠٤ هـ أربع ومائتين.

وفي مصـر كان مذهبه الجديد، وكانت مصنفاته الخالدة التي رواها عنه

تلامـــيذه "كالأم" و"الرسالة" وكتاب "السنن" وكانت له عنايته الفائقة بالسنة حـــتى غلـــب عـــلى متبعي مذهبه لقب "أصحاب الحديث" وكان أهل بغداد يطلقون عليه "ناصر السنة".

وكان ينهي عن ترك الكتاب والسنة إلى غيرهما من آراء الناس وأهوائهم، يقول: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد.

ونظرته إلى أهل الحديث تشير إلى منزلتهم وأهميتهم فهو يقول: إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، جزاهم الله خيرا حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل، ومن شعره في ذلك:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الديـــن

العلم ما كان فيه "قال حدثنا" وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وكـــتابه "الأم" جمعه صاحبه البويطي وبوبه الربيع بن سليمان وهو يشمل أبـــواب الفقه كلها، وأما كتاب الرسالة فهو أول كتاب ألف في أصول الفقه وأصول الحديث.

ويعتبر الإمام الشافعي أول من ألف في أصول السنة، وقوانين الرواية ومهد للعـــلماء مـــن بعده طريقة التأليف والتدوين في علوم السنة والإمام الشافعي في مقدمة المحدثين الذين يرون صحة الحديث برواية الثقة ولو كان الراوي واحدا، وســـاق الأدلـــة عـــلى حجـــية خبر الواحد ورد على المخالفين في كتابيه "الأم" و"الرسالة".

ولا يحـــتج الإمام الشافعي بالأحاديث المرسلة أخذا بالأحوط وخالف في ذلك الكثير من العلماء قبله.

ولكنه نص على أن الأحاديث المرسلة التي أرسلها سعيد بن المسيب حسنة

لأنه تتبعها فوجدها مسندة، كما يرى أن مراسيل كبار التابعين حجة إن جاءت من وجه آخر ولو مرسلة، أو اعتضدت بقول صحابي أو أكثر من العلماء، أو كان المرسل لو سمى لا يسمى إلا ثقة، فحينئذ يكون مرسله حجة ولا ينهض إلى رتبة المتصل، وأما مراسيل غير كبار التابعين فلا يحتج بها، هكذا كانت موازينه العلمية الدقيقة، وعنايته بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من أئمة القرن الثاني

ومـــن أئمـــة القـــرن الثاني الهجري: الإمام الأوزاعي، هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الشامي، من أتباع التابعين، وكانت له عنايته بالسنة المطهرة، وقـــال عنه عبد الرحمن بن مهدي: الأئمة في الحديث أربعة: الأوزاعي ومالك وســـفيان الثوري، وحماد بن زيد، وكانت ولادته سنة ثمان وثمانين من الهجرة وتوفى سنة سبع وخمسين ومائة.

وسمـــع الأوزاعـــي الحديث عن جماعات من التابعين كعطاء بن أبي رباح وقتادة ونافع وغيرهم، وروى عنه جماعة من شيوخه، ومن أقرانهم.

وهـــذا يدل على رسوخ قدمه في هذا العلم، وعلى تضلعه فيه، ولا غرابة فقـــد أجمع العلماء على إمامته ومكانته وكثرة حديثه وتمسكه الشديد بالسنة، حتى قال فيه ابن مهدي: ما كان بالشام أحد أعلم بالسنة من الأوزاعي.

وقد جمع الأوزاعي بين العلم والعمل، وبين العبادة والورع، والقول بالحق والزهد، مما جعل علماء عصره يشهدون له بالإمامة.

ومـــن أئمة هذا القرن كذلك: الحافظ المحدث الإمام الليث بن سعد إمام أهل مصر في زمانه، كان كثير الحديث ثقة قال عنه الإمام أحمد بن حنبل الليث كـــثير العلم.صحيح الحديث ولد سنة ثلاث أو أربع وتسعين وتوفى سنة خمس وتسعين ومائة كان من أتباع التابعين.

أخـــذ الحديـــث عن عطاء بن أبي رباح، ونافع مولى ابن عمر، والزهري وكـــثير مـــن التابعين وتابعهم، وتلقى عنه الحديث هشام بن سعد من شيوخه وقيس بن الربيع وابن المبارك وكثير من الأئمة.

ومن أئمة هذا القرن كذلك أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ القطان ولد

سنة عشرين ومائة، وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة.

وهـــو محدث من كبار المحدثين، ومن أتباع التابعين أخذ الحديث عن ابن جـــريج والثوري، ومالك وغيرهم، وأخذ عنه الحديث أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم.

وقال عنه العلماء: كان من سادات أهل زمانه حفظا وورعا وفقها وفضلا ودينا وعلما.

وهو الذي مهد لأهل العراق رسم الحديث، وأمعن في البحث عن الثقات وترك الضعفاء قال عنه أبو زرعة، هو من الثقات الحفاظ.

ومنهم: سفيان بن عيينة كان من أتباع التابعين ولد سنة سبع ومائة، وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة.

وقـــد أخـــذ الحديث عن الزهري، وعبد الله بن دينار، وعمرو بن دينار وغيرهـــم وأخـــذ عنه الحديث الثوري، وابن جريج والشافعي وأحمد بن حنبل والحمـــيدي وغيرهم، اتفق المحدثون على إمامته وفضله وبعد شأوه في الحديث وحفظـــه، وهكـــذا كان لهؤلاء الأئمة المحدثين جهودهم التي تذكر فتشكر في خدمـــة السنة المشرفة، بتدوينهم وحفظهم، وأعمالهم جمعوا بين العلم والعمل، وبين التحمل والأداء، والتحصيل والتبليغ فمهدوا طريق العلم لمن يأتي بعدهم.

مناهج المحدثين في القرن الثالث

أخـذ تدوين السنة بمراحل دقيقة في كل جيل من الأجيال، مما يدل على عـناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، فكان الغرض من التدوين في القرن الأول الهجري حفظ السنة النبوية من الضياع، وصيانتها من أن يتطرق إليها الوضع ، فكانـت كـتابة الحديث آنئذ كتابة فردية، ثم ما لبثت أن دونت في الصحف بجانب حفظها في الصدور.

وأمـا في القـرن الـثاني، فقد بدأ التدوين على يد الزهري وكان منهج الـتدوين يتمـثل في جمع الأحاديث التي تدور حول موضوع واحد في مؤلف خـاص، فكـان لكل باب من أبواب السنة مؤلف خاص به يختلط به الحديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

ثم كانـت المرحلة الثانية من مراحل التدوين في القرن الثاني بعد الزهري حيث قام الأئمة: مالك وابن جريج وسفيان الثوري وغيرهم فجمعوا أحاديث الأبـواب وضموا بعضها إلى بعض فكانت مصنفا واحدا، ومزجوا الأحاديث بـأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ونهج على هذا المنوال بقية أهل عصرهم و لم يصـلنا من مؤلفاتهم إلا القليل كموطأ مالك ومسند الشافعي والآثار لمحمد بن الحسـن، ووصـف لبعض المؤلفات الأخرى والأغلب أن العلماء أدمجوها في مؤلفاتهم بعد ذلك.

والغـرض مـن هـذا التدوين في هذا الفترة هو خدمة التشريع وتسهيل استنباط الأحكام الفقهية.

وأمـا في القرن الثالث الهجري فقد أخذ التدوين شكلا جديدا غير الذي كان عليه فيما مضى قام علماء هذا القرن، وأفردوا أحاديث الرسول صلى الله

عليه وسلم عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وتصدى بعضهم لتدوين الأحاديث التي يوهم ظاهرها التناقض ويجمع بينها ويرد على الطعون الموجهة إليها.

كما صنع صاحب كتاب (تأويل مختلف الحديث) وهو الإمام ابن قتيبة، ولد ببغداد وقيل بالكوفة سنة ثلاث ومائتين وتوفى سنة سبعين ومائتين واتسمت حياة ابن قتيبة بالاستقرار، فلم يشتغل بالرحلة إلى البلاد كغيره من الأئمة.

واضطلع ابن قتيبة بمهمة عظيمة، ورسالة كبرى ملكت عليه أقطار نفسه وكانت شغله الشاغل وهذه المهمة هي: الدفاع عن أهل السنة ومذاهبهم وضع المؤلفات لسد حاجة المسلمين، وكان غزير الثقافة استوعب معظم ما كان يعج به عصره من ثقافات وعلوم، وهذا راجع إلى أنه أخذ عن شيوخ مختلفين، منهم المحدث، ومنهم اللغوي، ومنهم النحوي وهكذا.

ولابن قتيبة تصانيف كثيرة منها كتاب غريب القرآن، ومشكل الحديث مشكل القرآن، وأدب الكاتب وغير ذلك.

وبعض هذه المؤلفات ليس له فيها إلا فضل الجمع والتبويب ككتاب عيون الأخبار والمعارف وأما البعض الآخر فقد صنفه في الرد على أعداء أهل الحديث ككتابه "تأويل مختلف الحديث" وهذا النوع من مؤلفاته هو الذي كتبه، واستمد مادته من عقليته الحافظة المتفتحة، وتفكيره الخصب الذي كان له أكبر الأثر في التوفيق بين نصوص القرآن والحديث وبيان المراد وشرح ما غمض على بعض العقول، وهذه المؤلفات تدل على تبحره في علوم الدين واللغة من حديث وفقه وأدب وغير ذلك.

وكان ابن قتيبة أحد الأئمة الأعلام الذين برزوا في ميادين العلم بأعمال

كثيرة، ومصنفات وافرة، وكان من أجود الأئمة تصنيفا.

كما كان من طليعة العلماء الذين مثلوا ثقافة هذا العهد بكل ما فيها من علوم ومعارف وثقافات مختلفة، ألف في الحديث والتفسير وأخذ وضعه في إمامة أهـــل الســـنة في زمنه، جمع بين العلم والعلم، وكان أديبا ناقدا، ولغويا ضليعا ورواية للأخبار، كل ذلك يدل على عقلية متفتحة وأفق واسع.

من أهم الفنون العلمية التي يضطر العلماء إلى معرفتها والوقوف عليها علم مختلف الحديث، وهو أن يأتي حديثان ظاهرهما التناقض في المعنى، فيوفق بينهما، أو يـــرجح أحدهمـــا على الآخر، والتوفيق قد يكون بتقييد المطلق أو تخصيص العام، أو الحمل على تعدد الحادثة وما إلى ذلك من الوجوه.

وأول مـــن تكلم في هذا العلم هو الإمام الشافعي، ثم كان بعد ذلك ابن قتيبة.

وكان الباعث له على تأليف هذا الكتاب هو تنزيه ساحة السنة النبوية عن تلك الطعون التي وجهت إلى الحديث وأهله من أعداء السنة فألف هذا الكتاب وهو "تأويل مختلف الحديث" كما كتب إليه بعض أنصار السنة يطلبون منه أن يرد على أعدائهم.

ويتمـــيز مـــنهج ابن قتيبة في هذا الكتاب، بجمع الطعون التي وجهها أهل الكلام إلى الحديث ورجاله ثم يرد عليها.

وأيضـــا قام بجمع بعض الأحاديث التي يوهم ظاهرها التعارض أو ما زعم البعض بأنها متناقضة في الظاهر فيزيل عنها ما زعموه ويوفق بين الأحاديث.

ووضـــح ابن قتيبة مسلك أهل الحديث في اتباع الطريق الصحيح وأجاب عـــن الطعون التي وجهت إليهم وهم منها براء كما تصدى لما وضعه الزنادقة

وأهـــل الأهواء من الأحاديث فنبه عليها وحذر منها ورد عليها، وشرح ما قام بهـــت رجال الحديث من جهود مخلصة وأمينة في سبيل الدفاع عن السنة حتى ميزوا الصحيح من غيره.

وفي سبيل التماسهم للحق وتتبعهم له، وجمعهم للأحاديث قاموا برحلات علمية هائلة برا وبحرا، وشرقا وغربا.

ورحـــل الواحـــد مـــنهم في سبيل الخبر الواحد، وهكذا عاشوا مجتهدين مخلصين حتى ميزوا بين صحيح الأخبار من سقيمها وناسخها من منسوخها.

وقـــد بـــذل ابـــن قتيبة في كتابه هذا مجهودا ضخما ينم عن أفقه العلمي الواسع، وعقليته الخصبة وعنى فيه بناحية الدفاع عن الحديث وتأويل المختلف.

وبهـــذا العمـــل أدى للحديث خدمات جليلة لا تقل عما قدمه غيره من المحدثـــين ولهذا لقبه ابن تيمية بحجة الله المنتصب للدفاع عن أهل الحديث، وفي دفاعـــه عن الحديث، ومناهضته لأعدائه كان دائما يؤيد رأي بالحجج الدامغة والأدلة العقلية والنقلية مناقشا لآرائهم مفندا لها في روية وأناة.

ولقد كان ابن قتيبة ثقة صادقا قويا في روايته، ولئن كان قد قصر باعه في البعض من كتابه فقد أنجح في البعض الآخر.

كما أنه فتح باب الرد على أهل الأهواء والملل، المنحرفة ودافع عن السنة المطهرة دفاعا علميا متينا، وجاهد أعداء الحديث مستبسلا صابرا فلله دره.

مناهج التدوين على المسانيد

ومن مناهج تدوين الحديث التي نهجها المحدثون: "منهج التدوين على المسانيد" ويتحقق بجمع المؤلف ما يروى عن الصحابي في باب واحد من غير تقييد بوحدة الموضوع، واتسم هذا المنهج بإفراد الحديث وتجريده من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وجمع كل ما يروى عن الصحابي وإن اختلفت موضوعات الأحاديث.

فيذكر صاحب المسند مثلا أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويجمع ما رواه من الأحاديث ثم عمر رضي الله عنه وهكذا، وكان منهم من يرتب أسماء الصحابة على القبائل فيقدم بني هاشم ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب.

ومنهم من رتبها على السبق في الإسلام فقدم العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح، ثم من أسلم يوم الفتح، ثم أصاغر الصحابة سنا ثم النساء، وممن سار على هذه الطريقة الإمام أحمد بن حنبل ومنهم من رتبهم على حروف المعجم كالطبراني، ومنهم من صنف مسندا معللا بأن يجمع في كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه فإن معرفة العلل أجل أنواع علم الحديث وبها يظهر إرسال ما عد متصلا وما إلى ذلك.
ومن المحدثين من جمع بين المسانيد وطريقة الأبواب في مصنفه كأبي بكر ابن أبي شيبة، وفي هذا المنهج أفردت الأحاديث وجردت من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

ولهذه الطريقة صعوبتها في الوقوف على الحديث من المسند لعدم جمع الأحاديث المتناسبة في موضوعاتها في باب خاص كما كان من عيوبها كذلك تعذر معرفة درجة الحديث من الصحة والضعف والاحتجاج به أو عدمه.

"مسند الإمام أحمد"

ومـــن أعظم المسانيد مسند الإمام أحمد وهو المراد عند الإطلاق ويلتقي نســـب هذا الإمام الجليل مع الرسول صلى الله عليه وسلم في نزار بن سعد بن عدنـــان، وقد ولد الإمام أحمد في بغداد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة للهجرة.

ونشـــأ أولا في بغـــداد وهي يومئذ تزخر بالعلماء والمحدثين وهي حاضرة العـــالم الإسلامي تموج بالثقافات والعلوم والفنون واجتمعت في نشأته عوامل كـــثيرة كان لها أكبر الأثر في تكوينه العلمي منها ما فطر عليه من حب العلم، فكـــان من شدة شغفه به يخرج أحيانا قبل الفجر، فتأخذ أمه بثيابه ليبقى ريثما يصـــبح الصبح كما كان لتوجيه أسرته له وورعه وتقواه أكبر الأثر في تكوينه العلمي بالإضافة إلى ذاكرته الحافظة.

وكان العصر الذي نشأ فيه الإمام أحمد عصر التدوين والنضج العلمي ففيه ازدهرت علوم الدين واللغة وغيرها فكان معنيا بتدوين ما يسمعه من الأحاديث وآثار الصحابة ويدون ما يسمعه، حتى أصبح حافظا للحديث والفقه.

وتلقـــى الحديـــث أولا بـــبغداد، وتلقى عن الثقات ذوي الشهرة العلمية ومكـــث ثلاث سنوات ببغداد يجتهد في طلب الحديث من العلماء دون تقييد بواحد منهم.

ورحـــل الإمام أحمد رحلات بعيدة ركب فيها المركب الصعب واحتمل خشـــونة العـــيش فـــرحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام، والجزيـــرة وكان يستعذب المشقة في طلب الحديث، لأنه يرى أن تحصيل العلم بصـــعوبة فيه شدة تمكن وزيادة في الحفظ ويجعل النية خالصة لله تعالى واستمر

دؤوبـــا في طلب العلم والحديث حتى بعد أن بلغ الإمام ولما سئل في ذلك قال: "مع المحبرة إلى المقبرة"

وأخـــذ العـــلم عن كثير من الشيوخ الأعلام والأئمة الحفاظ منهم هشيم والشـــافعي وسفيان بن عيينة وغيرهم ومن الذين كان لهم أكبر الأثر في حياته الإمـــام الشافعي وقد التقى به في الحج هو يدرس بالمسجد الحرام والتقى به مرة أخرى في بغداد.

وقـــد تصدى الإمام أحمد للدرس بعد أن بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، و لم ينصـــب نفسه للدرس قبل ذلك، وهذه السن غالبا ما تتكامل فيها القوة العلمية ولـــيس معنى هذا أنه كان لا يفتي إذا سئل بل بالعكس فإنه كان يرى الإعراض عن إرشاد السائلين كتمانا للعلم منهيا عنه، وكان يفتي في مسجد الخيف وهو في الرابعة والثلاثين.

أمـــا التصـــدي للدرس والفتيا رسميا فلم يكن إلا بعد بلوغه سن الأربعين وكان مجلسه مملوءا بطلاب العلم والمسترشدين من تلاميذه ومحبيه وعارفي فضله وكان الوقار يسود مجلسه.

وقد روى عن كثير من الأئمة منهم البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنســـائي وابـــن ماجة وابنه صالح وابنه عبد الله ، بل إنه قد روى عنه بعض شـــيوخه كعبد الرزاق والشافعي وفي هذا ما يدل على مكانته العلمية وعظمته وروى عنه من أقرانه علي بن المدين ويحيى بن معين وغير هؤلاء.

منهج الإمام أحمد في المسند

ويقوم منهج الإمام أحمد في مسنده بجمع الأحاديث على ترتيب الصحابة الذين انتهى الحديث إليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يوافق ترتيبهم السوابق الإسلامية، فبدأ بأحاديث العشرة المبشرين بالجنة ثم أحاديث أهل الحديبية، ثم مسلمة الفتح، ثم أحاديث النسوة الصحابيات وهكذا حتى إذا وصل التابعين رتبهم كذلك، فهو يدون أحاديث كل صحابي على حدة، دون نظر إلى وحدة الموضوع.

وكان الذي حدا به إلى اتباع هذا المنهج في التدوين هو:

أولا: أن يصل إلى أهل كل إقليم ما لم يصل إليهم من الأحاديث فقد رأى أن بعض الأحاديث في الكوفة لا يصل إليها أهل بغداد وأن أحاديث في مكة المكرمة لا يصل إليها أهل دمشق، وأن أحاديث في دمشق لا يصل إليها أهل اليمن، وهكذا كان في كل بلد محدثون فكيف يحصل على ما جمع هؤلاء وهؤلاء؟ من أجل هذا رأى أنه لا بد من الرحلة في جمع هذه الأحاديث المتفرقة في البلاد النائية.

فبدأ بما سمعه ببغداد ثم اتجه إلى الكوفة، فالبصرة، فمكة المكرمة فالمدينة المنورة، فاليمن، وكان في هذه البلاد يحرص على لقاء أهل الحديث، ويجمع كل ما صح عنده.

وبهذا خطا خطوة جديدة في جمع الحديث وهي الرحلة، فكانت سنة لمن جاء بعده، وقد توسع فيها الإمام البخاري، حتى قام برحلات أكثر.

ولئن كانت هناك مدونات قبل المسند، إلا أنها كانت إقليمية منها ما هو بالمدينة، ومنها ما هو بمصر وهكذا، وأظهر الكتب المدونة قبله "الموطأ".

ثانيا: ومما حدا به إلى اتباع هذا المنهج، ما رآه في عصره من كثرة الأحاديث التي وضعها أعداء الدين والمغرضون من أصحاب النحل الأخرى حتى عج تيار الموضوعات بصورة أفزعت هذا الإمام الجليل، ومما جعله يتصدى للقيام بهذا العمل الضخم، والمجهود الكبير ليقدم ما صح في نظره من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما نهج الإمام أحمد فيما يدونه على الحيطة سندا ومتنا فاشترط ألا يروى عمن كان معروفا بالكذب عنده، كما تخير الثقات العدول الذين اشتهروا بالصدق والأمانة.

وكان يرد بعض الأحاديث إذا عارضها أقوى منها سندا، وأوثق رجالا ويقبل عن أهل التقوى الذين لم يعرفوا بالكذب، وإن كان في ضبطهم، بعض النقص. فيقبل روايتهم على أن يوازن بينها وبين غيرها فإن عارضها ما هو أوثق منها ردها، وقد يأخذ بها للاعتبار، وقد يكتبها احتياطا منه، مخافة إن يترك حديثا للرسول صلى الله عليه وسلم يحتمل الصحة، وبهذا النهج اشتمل المسند على أكثر الأحاديث النبوية.

ولقد كانت طريقة المسند سائغة للعلماء آنئذ لشدة حفظهم وعنايتهم بحفظ الحديث حتى كان الواحد منهم يحفظ المسند الكبير كما يحفظ السورة من القرآن ويعرف صحيحه من سقيمه.

وقد تولى عبد الله بن الإمام أحمد المسند للناس، وهو الذي انتهج هذه الطريقة في روايته للمسند حين قام بجمع المتناثر الذي جمعه والده ورتبه وهذبه، وتسلسلت من بعده الروايات عن الثقات، إلى أن حفظته الأجيال وتلقته الأمة بالقبول

منهج التصنيف على الأبواب

يقـــوم منهج التصنيف على الأبواب بتدوين الأحاديث على أحكام الفقه وغـــير ذلـــك، وبتبويب الأحاديث وترتيبها موضوعيا وتنويعها أنواعها مختلفة، بحيـــث يجمـــع المصنف ما ورد في كل حكم وفي كل باب على حدة، فيجمع الأحاديث المتعلقة بالصلاة في باب والمتعلقة بالصوم في باب وهكذا.

وأهـــل هـــذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ما صح فقط كالإمام الـــبخاري والإمـــام مسلم، ومنهم من لم يقتصر على ذلك كالأئمة أبي داود والترمذي والنسائي.

ومـــن مزايا هذه الطريقة سهولة الحصول على الحكم الشرعي وغيره من الأبواب الخاصة، وسهولة الوقوف على درجة الحديث بيسر وسهولة، وهذا ما دعـــا الإمام البخاري إلى أن يتجه في كتابه إلى الاقتصار على الحديث الصحيح وتـــبعه الإمام مسلم سيرا على منهجه وكان لهما الفضل في تمهيد الطريق أمام طلاب الحديث ليصلوا إلى الصحيح من الأحاديث دون عناء.

ومـــن أعظم رواد هذا المنهج أمير المؤمنين في الحديث الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ولد سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة.

وفي بيـــئة الطهر والعفاف، والورع والدين، استقبل بيت الحديث والنعمة محمـــد بن إسماعيل البخاري، وعاش الوالد قرير العين بأبيه إلى أن عاجلته المنية، فـــترك ابنه طفلا صغيرا فكلفته أمه، وقامت بتربيته، ووجهته إلى التعلم لينسج على منوال أبيه.

وينحصر منهج البخاري في طلب الحديث في أمور ثلاثة في العناية بالسند والمتن، وفي رحلاته العلمية، وفي حفظه ومعرفته بعلوم الحديث.

ومنذ اتجه البخاري إلى طلب الحديث، وهو يعني بالإسناد فعرف الرجال وتواريخهم وأحوالهم، وقد هيأته عناية الله وتوفيقه لسلوك طريق العلم منذ صغره على أساس متين مع الاستعداد الفطري والعقلية الحافظة، مما جعل لمروياته الثقة التامة، وفي مكة المكرمة سمع البخاري من أبي الوليد وإسماعيل بن سالم ثم اتجه بعد ذلك إلى المدينة المنورة دار الهجرة وفي رحاب المسجد النبوي، وبجوار صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام بدأ البخاري تأليف ما وفقه الله إليه.

وإلى جانب هذا تميز البخاري منذ صغره بمواهب عظيمة منحه الله إياها، فكان في حفظه ومعرفته بعلوم الحديث آية بهرت العقول، وسلك في دراسته أدق الطرق وأقواها.

ومما يشهد للبخاري بسعة حفظه ومعرفته القوية بعلوم الحديث ما رواه أحمد بن الحسين الرازي قال: سمعت أبا أحمد بن عدي الحافظ يقول: سمعت غدة من مشايخ بغداد يقولون: إن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا به وأرادوا امتحان حفظه.

فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها إلى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري وأخذوا عليه الموعد للمجلس فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان ومن غيرهم ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري لا أعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد والبخاري يقول لا أعرفه حتى فرغ والبخاري يقول: لا أعرفه وكان العلماء ممن حضروا المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض

ويقولون فهم الرجل ومن كان لا يدري القصة يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ وحتى انتهى العشرة من إلقاء أحاديثهم المقلوبة، فلما علم أنهم فرغوا التفت إليهم واحدا بعد الآخر يقول لكل واحد إما حديثك فكذا وصوابه كذا فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.. وقد أثنى وشيوخه فلا غرابة أن يلقب أمير المؤمنين في الحديث.

صحيح البخاري

كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري هو الكتاب الذي قال فيه العلماء أنـــه أصـــح كتاب بعد كتاب الله تعالى، وبه أصبح البخاري أمير المؤمنين في الحديـــث وهو أهم مؤلفات البخاري، قطع قبله رحلات واسعة، وكتب عدة مؤلفات كانت بمثابة المقدمة التي مهدت لكتابه "الجامع الصحيح".

وصنفه البخاري في روية وأناة متحريا العناية التامة والدقة الكاملة ومكث في تصـــنيفه ســـتة عشر عاما قال: "صنعت الجامع الصحيح لست عشرة سنة وخرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل".

وكـــان يتأهـــب لكتابة كل حديث بالطهارة والصلاة يقول البخاري ما كتبت في كتاب الجامع الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقـــيل أنـــه وضع تراجم جامعه في الروضة بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنـــبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين، وقد صنف بعضه في مكة وبعضه في المدينة وبالبصرة وبخارى.

وكان الباعث له على تصنيف هذا الكتاب هو أن يخص الأحاديث الصحيحة بالجمع وأن يرتبها على حسب الأبواب الفقهية، وعلى حسب الموضوعات المختلفة الواردة في الأحاديث.

ودفعـــه أيضـــا إلى هذا العمل العظيم وقوى عزمه فيه ما سمعه من أستاذه الإمـــام إسحاق بن راهوية قال البخاري، كنا عند إسحاق بن راهوية فقال لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: فوقع ذلـــك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح، كما قوى عزمه وشرح صدره رؤيا منامية رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم والبخاري واقف بين يديه وبيده

مـــروحة يـــذب بها عنه فسأل بعض المعبرين عن ذلك فقال له: أنت تذب عنه الكذب.

وقـــد صنف البخاري كتابه على منهج التأليف على الأبوّاب وهو تخريجه عـــلى أحكـــام الفقه وغيرها، فجمع ما ورد في كل نوع من الأنواع في باب خاص.

وإذا نظـــرنا إلى تســـمية البخاري لكتابه وهو : "الجامع الصحيح المسند المختصـــر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" يتضح لنا مـــنهجه وشـــرطه فهو لم يختص بصنف دون صنف، وإنما أورد فيه الأحكام والفضائل، والأخبار وغير ذلك وأن ما فيه صحيح ومسند.

وإذا كـــان صحيح البخاري يتفق في منهجه مع الموطأ حيث إن الكتابين مرتبان على الأبواب إلا أن صحيح البخاري يختلف عن الموطأ في أمور.

مـــن ذلـــك تجريد البخاري أحاديث من أقوال الصحابة والتابعين، وجمع البخاري لأحاديث الفقه وغيرها من الأنواع.

صحيح مسلم

ومـــن الكتـــب التي صنفت على الأبواب: صحيح مسلم، ألفه الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ولد سنة مائتين واثنتين وقيل مائتين وأربع، واقتدى مسلم بالبخاري في تأليف صحيحه، وعاش حياة مباركة حافلة بالبحث العلمي الجاد، وشق طريق حياته تساعده قوة حافظته وسعة أفقه الفكري.

وقـــد أثنى عليه الأئمة، وقدموه على مشايخ عصرهم في معرفة الصحيح وبعد حياة حافلة بخدمة السنة توفى سنة إحدى وستين ومائتين.

وأهـــم أعماله الخديثة، وأعظم ثمرات حافظته وفكره المعطاء كتاب القيم "المسند الصحيح" إنه ثاني الكتب السنة، وأحد الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة الإسلامية بالقبول وعرفا بأنها أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

وفي كـــتابه تحرى تمحيص الروايات والموازنة بينها وقطع في سبيل ذلك الـــرحلات الواسعة واستعان ببعض تلاميذه، حتى جاء الكتاب ثمرة طيبة لحياة الجهاد والاجتهاد.

وقـــام بتأليفه في وقت كانت الحاجة فيه ملحة لظهور مثل هذا الكتاب خاصة وقد توجه إليه بعض المعاصرين وسأله أن يلخص مؤلفا في جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنن الدين وأحكامه.

وقـــد صادف هذا السؤال من أحد المعاصرين هوى في نفس الإمام مسلم إذا كان لديه الاستعداد والرغبة من قبل.

وكـــان يحفـــزه لهـــذا العمل، رغبته في القيام بجمع طائفة من الأحاديث الصـــحيحة المتصـــلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه يسهل على العامـــة والخاصة النظر في وجوه الحديث وتقريبه للباحثين في الفقه وغيره، حتى

يمكن الوقوف على كل العطاء الذي تمنحه السنة النبوية.

ذلك لأن المصنفات في ذلك العصر كانت صعبة المأخذ ممزوجا فيها الصحيح بغيره ولئن كان كتاب البخاري مرتبا على الأبواب إلا أن الكشف فيه يحتاج إلى خبرة بفنون الحديث.

وذلك لدقة تراجمه وخفائها على غير أهل الخبرة كما دفعه إلى ذلك أيضا ما كانت عليه الحال آنئذ قبل جمع الصحيحين من اختلاط الأحاديث الصحيحة بغيرها واستجابة لهذا نهض الإمام الجليل بتصنيف كتابه في بلده، وفي حياة الكثيرة من شيوخه متحريا في الألفاظ وقدم لكتابه بمقدمة علمية تعتبر من المؤلفات المبكرة في أصول علم الحديث.

منهج الإمام مسلم في صحيحه

تأثر الإمام مسلم بالإمام البخاري، فنهج نهجه في تأليف صحيحه فجمع الحديث الصحيح المجرد عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين مبوبا على أبواب الفقه، واقتصر على الأحاديث المسندة دون الموقوفات إلا نادرا، ولم يذكر تراجم للأبواب كما صنع البخاري، وإنما قام بالتبويب والترجمة من تصدوا لشرحه لا سيما النووي.

وسلك الإمام مسلم في صحيحه طريقة حسنة، فقام بجمع المتون كلها بطرقها في موضوع فلم يقطع الحديث في أبوابه كما فعل البخاري.

وانفرد الإمام مسلم بفائدة حسنة كما قال الإمام النووي — تلك الفائدة هي كونه أسهل تناولا — فجعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به، جمع فيه طرقه التي ارتضاها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة، فيسهل على الطالب النظر في وجوهه واستثمارها وتحصل الثقة بجميع ما أورده من طرقه.

واشـــترط الإمـــام مســـلم أن يكون الحديث صحيح السند متصلا بنقل العدول الضابطين، خاليا من الشذوذ والعلة، كما اشترط في المعنعن وهو الذي يقول فيه: عن فلان اشترط المعاصرة فيه.

واشترط الإمام مسلم كذلك أن يدون الأحاديث الصحيحة على شرطه، ولكـــنه لم يلـــتزم استيعاب جميع الأحاديث الصحيحة، ومن هنا فقد وجدت أحاديث صحيحة كثيرة في كتب السنن الأربعة لم تخرج في كتاب الإمام مسلم ولا في كـــتاب الإمـــام البخاري، وقال الإمام مسلم: "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا إنما وضعت ما أجمع عليه".

ومـــراده بذلـــك أنه لم يدون في كتابه إلا الأحاديث التي انطبقت عليها شـــروط الصحيح الجامع عليه وإلا لم يكن هذا الاجتماع ظاهرا في بعضها عند البعض.

وإذا تـــبين أنـــه لم يستوعب الصحيح في كتابه، ولا التزم استيعابه فليس لأحـــد من أهل الأهواء والبدع أن ينكر حديثا من الأحاديث الصحيحة متعللا بأنه ليس في الصحيحين.

واتســـم مـــنهج الإمام مسلم بحسن التنسيق والتبويب فجمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، ولم يفرقها في الأبواب ولم يصنع تراجم للأبواب.

وقـــد نهـــض شراح صحيح الإمام مسلم فيما بعد، فأولوه العناية التامة ووضعوا له التراجم، وقد قدم الإمام النووي كتاب الإمام مسلم في صورة سهلة المـــأخذ قريـــبة المـــنال، مذللا كل عسير على القراء، وميسرا كل صعب على الباحثين.

وحظـى صحيح الإمام مسلم كصحيح البخاري بعناية علماء المسلمين فقـاموا بشرحه واختصاره ودراسة رجاله، ولئن كانت العناية بصحيح الإمام مسـلم لم تبلغ مبلغ العناية بصحيح الإمام البخاري إلا أن ما لدينا من شروح صـحيح الإمام مسلم يدل دلالة كبيرة على مدى ما قام به العلماء من اجتهاد وجد.

فحظـى هذا الكتاب النفيس بالعديد من الشروح والمختصرات، وتطلعنا هذه الشروح والمختصرات وغيرها من المستدركات والمستخرجات على عناية الأمـة الإسـلامية بالسنة النبوية، وما استهدفه جهودهم المخلصة من بيان ما تضمنته السنة من عقائد وأحكام وتشريعات وآداب لا سيما عنايتهم بصحيحي البخاري ومسلم وفي هذا كله دلالة على أهمية الصحيحين وأنهما يحتلان منـزلة عالـية في الـنفوس، وكيف لا، وهما الكتابان النفيسان والصحيحان الجامعان اللذان تلقتهما الأمة بالقبول.

الإمام أبو داود السجستاني

مـــن الأئمة المشهورين، والمحدثين النابهين الإمام أبو داود السجستاني ولد سـنة اثنـتين ومائتين، ونشأ محبا للعلم، ملازما للعلماء يتعلم منهم وينهل من مواردهم، كما أخذ نفسه بالورع والعبادة حتى كان في درجة عالية من النسك والصلاح، وكان أحفظ حفاظ الإسلام لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما كان أبو داود موضع حب العلماء وتقديرهم يرحلون إليه، جمع بين العلم والعمل، وبين الإنفاق والورع، فنشأ نشأة طاهرة مبرورة.

وكـــان من كبار الأئمة فقها وعلما وحفظا ونسكا واتقانا، جمع وصنف ودافـــع عـــن السنة، وطوف بكثير من البلاد وأخذ عن علماء الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة، وخراسان وقد مكنته رحلاته العلمية من لقاء كثير من شيوخ الأمصار التي كانت تموج بالعلم والعلماء.

وبهـــذه الرحلات تمكن أبو داود من تدوين كثير من الأحاديث التي أودع خلاصتها في كتابه العظيم "السنن".

وقدم بغداد غير مرة، وكانت آخر زياراته لها سنة اثنتين وسبعين ومائتين، ثم دعاه بعد ذلك الخليفة الموفق أن ينزل بالبصرة وأن يتخذها له مقاما عسى أن يبعث فيها هو وتلاميذه الحياة والنشاط.

وكـــان من المحدثين المجتهدين، ومما يشهد باجتهاده عمله الجليل في كتاب "السنن" وبحسبه فضلا أن يروى عنه شيخه الإمام أحمد بن حنبل حديثا.

ولأبي داود رحمـــه الله مؤلفات كثيرة، تدل على غزارة علمه، وعمق بحثه ألفهـــا في مجـــالات مخـــتلفة منها كتاب السنن وكتاب المراسيل وكتاب القدر وكتاب دلائل النبوة، وغير ذلك وأعظمها كتاب "السنن".

قال فيه الخطابي: "إن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في حكم الدين كتاب مثله".

وعـــرف باعتزازه بكرامة العلم والعلماء، التي لا يفرق فيها بين الناس في طلب العلم.

ومن أعظم مؤلفاته: كتاب "السنن" وقد سار فيه على طريقة التخصيص فحدد جانبا من جوانب السنة المطهرة وهو أعظمها وأكثرها وهو الجانب الفقهي.

جمـــع فـــيه الســـنن والأحكام وانتقاه من خمسمائة ألف حديث وبلغت أحاديثه أربعة آلاف وثمانمائة حديث كلها في الأحكام حتى جاء الكتاب حافلا بأبواب الفقه وبالأحاديث التي يحتاج إليها الفقهاء في استدلالهم، حتى قيل: إنها تكفي المجتهد بعد كتاب الله .

أطلـــق أبو داود على كتابه اسم "السنن" لأنه جمعه من وجهة نظر فقهية، فـــلم يضمنه غير أحاديث الفقه والتشريع مما ورد في الأخلاق والكلام والزهد ونحـــو ذلك، ولما انتهى أبو داود من تصنيف كتابه عرضه على الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فاستحسنه.

ويقـــول إبراهـــيم الحربي: لما صنف أبو داود كتاب السنن ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديث، وقد كتب خمسمائة ألف حديث أخذ منها في كـــتابه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ذكر الصحيح وما يشبهه وما يقاربه وكان منهج أبي داود في السنن متجها إلى تدوين الحديث في جانب من جوانب السنة النبوية، وهو الجانب الفقهي، فجعل كتابه خاصا بالأحكام والسنن، وأبرز فيه هذه الثروة الفقهية العظيمة التي امتاز بها على من عداه، فقسم كتابه إلى كتب، وقســـم الكتـــب إلى أبواب، وجمع في هذه الأبواب الأحاديث التي يستدل بها

الفقهاء ويبنون عليها الأحكام كما سجل التراجم على الأحاديث.

و لم يلتزم أبو داود بتخريج الصحيح فحسب، بل خرج الحسن لذاته أيضا والحسن لغيره، وما لم يجمع الأئمة على تركه.

وأما ما كان فيه وهن شديد فقد بينه، وما لم يذكر فيه شيئا فهو صالح.

ومـــنهجه في التدوين ينم عن معرفة دقيقة لمذاهب العلماء وطرقهم، ويدل عـــلى رسوخ قدمه في الصناعة الحديثية ومعرفة العلل، واستنباط ما في الحديث من دقائق وأحكام.

واشـــترط أن يذكر في كل باب أصح ما عرفه في ذلك الباب، وجمع في كتابه الصحيح واللين والصالح للعمل.

وقد وضح أبو داود أهمية كتابه، ودرجته في قوله: "ولا أعلم بعد القرآن شـــيئا ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب" ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعـــة أحاديث أحدها: "إنما الأعمال بالنيات"، الثاني: "من حسن إسلام المرء تـــركه ما لا يعنيه"، والثالث: "لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه من يرضاه لنفسه"، والرابع "الحلال بين والحرام بين" فإن هذه الأحاديث فيها الكفاية إجمالا لطلـــب الـــنجاة كما وجهها بعض العلماء فالحديث الأول يوضح أن الأعمال الشرعية لا يعتد بها إلا بالنية الخالصة، والثاني يوجه إلى ما ينفع في الدين والدنيا والثالث يوضح علاقة المسلم بأخيه، والرابع أصل في معرفة الحلال والحرام.

ولكتاب أبي داود أهمية بالغة في أحاديث الأحكام، التي يحتاج إليها الفقهاء وغيرهـــم، والتي يستدل بها على الأحكام الفقهية، وعلى سائر ما يحتاجه المسلم من أحكام دينه.

واســـتوعب هذا الكتاب أحاديث العقائد والعبادات والأعمال والأحكام والأخلاق، وغير ذلك من الأبواب فكان كتابا جامعا للسنن والأحكام.

هـــو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي الحافظ، أحد الأئمة المقتدى بهم في عـــلم الحديـــث، استقى العلم من منابعه وتتلمذ على شيوخ بلدته وغيرها، وأخـــذ عن أئمة الحديث وكبار الشيوخ وجمع بين العلم والعمل فكان حافظا ثقة، وتقيا ورعا مشهودا له بالأمانة والضبط.

ونشـــأ الترمذي محبا للسنة منذ صغره وساعده على الوصول إلى الدرجة العلمية العالية ورعه وتقواه.

وكـــان مشـــهورا بقوة الحافظة وسيلان ذهنه، يقول الترمذي: كنت في طـــريق مكـــة وكنـــت كتبت جزءين من أحاديث شيخ، فمر بنا ذلك الشيخ فســـألت عـــنه فقالوا: فلان، فرحت إليه وأنا أظن أن الجزءين معي وإنا حملت جزءين غيرهما، فلما ظفرت به سألته السماع فأجاب وأخذ يقرأ من حفظه ثم لمح فرأي البياض في يدي فقال: أما يستحي مني؟ فقصصت عليه القصة وقلت له إني أحفظه كله فقال: اقرأ، فقرأته عليه على الولاء قال: هل استظهرت قبل أن تجـــئ إلى؟ فقلت: لا ثم قلت له: حدثني بغيره فقرأ على أربعين قبل أن تجئ إلي؟ فقلـــت: لا ثم قلـــت له: حدثني بغيره فقرأ علي أربعين حديثا من غرائب حديثه، ثم قال: هات فقرأت عليه من أوله إلى آخره فقال، ما رأيت مثلك.

وفي هذا ما يدل على قوة حفظه، وحدة ذكائه حتى كان يضرب به المثل في الحفظ ويقال فيه من أوعية العلم.

وأمـــا كتابه "الجامع" فهو أحد الكتب الستة، وأشهر مؤلفاته، وبه أصبح إمامـــا في الحديـــث، وقد رتبه على أبواب الفقه وغيرها ودون فيه الأحاديث الصـــحيحة وغيرهـــا مبينا درجة كل حديث في موضعه، ولما ألفه عرضه على

العلماء في الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به حتى قيل: من كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم.

وقـــد جاء هذا الكتاب حافلا بالأحاديث النبوية المشتملة على الأحكام والمواعظ والآداب والتفسير والمناقب وغير ذلك.

وعنى الترمذي بالتراجم فأورد تراجم عامة تشتمل على أحاديث تتضمن مسائل متعددة وأبوابا كثيرة.

وجـــامع الترمذي من جوامع السنة الهامة التي اشتملت على معظم أبواب الأحكـــام الفقهية، وعلى سائر الموضوعات فهو من الكتب المصنفة على منهج التدوين على الأبواب وهو أحد الكتب الستة المعروفة المشهورة.

وتميز كتاب الترمذي إلى جانب ما اشتمل عليه من الأحكام والموضوعات أنه ذكر فيه درجة الأحاديث من حيث الصحة أو الحسن أو غير ذلك.

منهج الإمام النسائي

هـــو أبـــو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن بحر النسائي الحافظ صاحب السنن الصغرى والكبرى.

ولـــد بنساء من بلاد خراسان سنة خمس عشرة ومائتين وقيل أربع عشرة ومائتين. ونشأ محبا للعلم، فطوف بكثير من الأقطار الإسلامية ورحل إلى قتيبة، وهو ابن خمس عشرة سنة، وقال أقمت عنده سنة وشهرين.

واستطاع بجهوده المخلصة للعلم، وبما منحه الله تعالى من مواهب فطرية، أن يحـــتل مكانـــة سامقة في الحفظ والضبط والإتقان والدقة العالية، والتحري الشـــديد، حتى قال فيه أبو علي الحافظ النيسابوري للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم.

وقـــد جمع الإمام النسائي بين العلم والعمل، فكان يجتهد في العبادة ليلا ونهارا ويكثر من العبادة حتى قيل: إنه كان يصوم يوما ويفطر يوما، كما كان مواظبا على الحج والجهاد.

فكـــان جامعا بين العلم والعمل والعبادة والجهاد في سبيل الله، تمرس على أســـاليب الجهـــاد، وخرج مع أمير مصر غازيا، فوصفوا من شهامته وشجاعته وإقامة السنن المأثورة، في فناء المسلمين الشيء الكثير الذي يشهد بمكانته وعظمته.

حياته العلمية:

كان الإمام النسائي محبا للعلم والعلماء شغوفا بالمعرفة والتحصيل وما إن بلغ الخامسة عشرة إلا ورحل إلى العلماء في بلاد كثيرة فرحل إلى قتيبة بن سعيد البلخي، ومكث عنده سنة وشهرين، وأخذ عنه الحديث، وشارك في السماع: مـــنه أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وأبي داود، ورحل إلى الحجاز، والعراق

والشـــام ومصر والجزيرة، وضم ما سمعه من علماء بلده إلى منا سمعه من علماء هـــذه الأمصار فجمع ثروة علمية هائلة، وبرع في الحديث حتى قيل: إنه أحفظ من مسلم بن الحجاج، وقدم مصر، وطلب له المقام بها فأقام طويلا وظل يمارس نشاطه العلمي بها، وأخذ عنه الناس، ثم خرج من مصر، قيل وفاته سنة ٣٠٢هـــ وتوجه إلى دمشق.

ومـــن شيوخه الذين تلقى عنهم: قتيبة بن سعيد وإسحاق بن إبراهيم بن راهوية وأبو داود السجستاني والترمذي.

ومـــن تلاميذه الذين أخذوا عنه: أبو بشر الدولابي، وأبو القاسم الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة، وأبو جعفر الطحاوي.

ومن مؤلفاته:

١- السنن الكبرى ٢- السنن الصغرى المسماة (المجتبى)

٣- الخصائص ٤- فضائل الصحابة.

٥- المناسك.

وكان الإمام النسائي إلى جانب مكانته العلمية في السنة وعلومها فقيها، ظاهـــر الاجـــتهاد ومما يدل على خبرته وعمقه في هذا الجانب انتقاؤه للتراجم ومختـــاراته من الأحاديث، حتى قال فيه الدارقطني: "كان أفقه مشايخ عصره في مصر وأعلمهم بالحديث والرجال".

وتـــوفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة بمكة حرسها الله تعالى، وقيل: بالرملة من أرض فلسطين.

وبعد أن ألقينا بعض الضوء على حياة هذا الإمام الجليل ننتقل إلى منهجه في كتابه المجتبى.

منهج الإمام النسائي في كتابه السنن

نهج الإمام النسائي في كتابه السنن نهجا دقيقا، فرتبه على الأبواب الفقهية والتزم الدقة والتحري في نقد الرجال والتشدد في قبول المرويات، حتى قيل: إنه كان أحفظ من مسلم بن الحجاج، بل قال حافظ خراسان أبو علي النيسابوري حدثنا الإمام في الحديث بلا مدافعة أبو عبد الرحمن النسائي.

وكان يقول: للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج.

وقال ابن طاهر: سألت سعد بن علي عن رجل فوثقه، فقلت: قد ضعفه النسائي، فقال: يا بني إن لأبي عبد الرحمن شرطا في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم، وأرى أن في هذا الكلام مبالغة ومغالاة حيث إن لكل من صحيح البخاري وصحيح مسلم شروطا أعلى من شروط غيرهما، ولكنه على ما فيه من المبالغة يدل على شدة تحري النسائي ودقته وعلمه بعلل الحديث.

وقد كان هذا المنهج الذي التزم فيه التحري الشديد، والدقة البالغة داعيا له أن يترك أحاديث ابن لهيعة.

قال أحمد بن نصر الحافظ: من يصبر علي ما يصبر عليه النسائي؟ كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة، فما حدث عنه بشيء.

وقال ابن حجر: وكان عنده عاليا عن قتيبة عنه — يعني ابن لهيعة — ولم يحدث به لا في السنن ولا في غيرها، ولم يحدث النسائي بحديث ابن لهيعة، وكان من كبار الحفاظ إلا أنه اختلط في آخر عمره.

كما كان أيضا شديد التحري في الألفاظ، فلا يتساهل في وضع كلمة مكان أخرى، فلا يضع "حدثنا" مكان "أخبرنا" ولا العكس،.وفي طريقة روايته عن الحارث بن مسكين ما يدل على شدة حيطته وورعه، فقد كان بينه وبين

الحارث هذا شيء لم يمكنه من حضور مجلسه، وكان الحارث يتولى القضاء بمصر فكـــان يستتر في موضع ويسمع حيث لا يراه ولم يقل في روايته عنه "حدثنا" و"أخبرنا" وإنما قال: الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع [1].

وجمع النسائي في سننه كل ما يتعلق بالحياة الدينية من أحاديث على وجه التفصـــيل والاستقصـــاء حـــتى لقد ذكر جميع الأدعية التي تقال في الركعات والسجدات وبما بين ذلك.

كمـــا روى أحاديـــث كثيرة لما يقال في الاستعاذات ونحوها، وأورد في أبواب التشريعات صيغا ونصوصا مما يجرى في جميع أنواع المعاملات وما شاكل ذلك [2].

شرط الإمام النسائي

وقد تشدد الإمام النسائي في نقد الرجال وعرف بشدة التحري والقة.

وذكـــر ابـــن الصـــلاح في مقدمته عن ابن منده أنه سمع محمد بن سعد البارودي يقول: كان من مذهب أبي عبد الرحمن النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه. ثم قال: فمراده والله أعلم صنيعه في السنن الكبرى.

والإمـــام النســـائي يخرج من أحاديث الطبقة الأولى والثانية والثالثة ولا يـــتجاوزها إلى الرابعة في الأصول بخلاف المتابعات والشواهد [3] ويشاركه في هذا الإمام أبو داود.

ومعلوم أن الطبقة الثالثة التي يخرج النسائي أحاديثها لم يسلم أصحابها من

---

(١) أعلام المحدثين.

(٢) تاريخ الأدب العربي، بركمان ترجمة الدكتور/ عبد الحليم النجار ط المعارف.

(٣) الباعث الحثيث ص ٣١.

غوائـــل الجـــرح، فهـــم بين الرد والقبول، كمعاوية بن يحيى وإسحاق بن يحيى الـــثعلبي، وإذا تبين ذلك كله، فلا يمكن أن يسلم ما أدعاه القائلون بأن شرطه أشد من شرط البخاري ومسلم.

وأمـــا الحـــافظ أبو الفضل ابن طاهر فقال: كتاب [1] أبي داود والنسائي ينقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الصحيح المخرج في الصحيحين.

القســـم الثاني: صحيح على شرطهما وهي أحاديث أقوام لم يجمع على تركهم وهي دون أحاديث الصحيحين.

القسم الثالث: أحاديث أخرجاها من غير قطع منهما بصحتها وربما أبان علتها بما يفهمه أهل المعرفة.

ويرى العراقي: أن مذهب النسائي بهذه الصورة فيه متسع.

ونخلـــص ممـــا سبق بأن تحري الإمام النسائي ودقته في الشروط إنما كان خاصا بالسنن الصغرى وأما الكبرى فكان من شرطه فيها أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه.

(١) شروط الأئمة الستة.

الإمام ابن ماجه

نسبه ونشأته:

هـــو الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي القزويني و"ماجة" ليس جده وإنما هو لقب أبيه يزيد، لأن أغلب المترجمين له قالوا: محمد بن يزيد ابن ماجه واشتهر بذلك "القزويني" نسبة إلى إقليم قزوين، لأن به مولده ونشأته ولد سنة تسع ومائتين من الهجرة، ونشأ محبا للعلم، فتوجه بهمة عالية إلى مجالس العلماء وحلقاتهم يأخذ عنهم، ويتعلم منهم، فسار على الدرب الذي سار عليه مـــن سبقه من أئمة الحديث إقبالا على العلم، وتدوينا للسنة النبوية ونمى ثروته العلمية بتتبع مدارس الحديث المختلفة في بلاد كثيرة طوف بها فأخذ عن علمائها واســـتفاد مـــن مناهجها، وكانت نشأة ابن ماجه قائمة على أساس من العلم والعمل والأخذ والعطاء، فتعلم وحصل وعمل بما علم فكان تقيا ورعا مخلصا في رسالته، ودرس وحفظ وألف ودون، ولم يقصر نشاطه العلمي على التأليف بل تعداه إلى التدريس والتعليم وكان له تلاميذ رووا عنه.

وقـــد حصل الكثير حتى أصبح إماما في الحديث عارفا بعلومه، وجميع ما يتعلق به.

حياته العلمية:

قـــام ابن ماجه برحلات علمية يستهدف تزويد ثقافته وتدوين الكثير من الأحاديث إلى جانب ما جمعه من بلده فطوف بكثير من الأقطار والبلاد فرحل إلى العـــراق والحجـــاز والشـــام ومصر وغيرها من البلاد ولقي كثيرا من أئمة الحديـــث، وسمع من أصحاب مالك والليث حتى أصبح إماما من الأئمة الأعلام وقـــد شـــهد له بالثقة والحفظ كثيرا من الأئمة قال أبو يعلى الخليل بن عبد الله

القـــزويني: ابـــن ماجه ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة وحفظ، ووصفه الذهبي بأنه الحافظ الكبير المفسر [1].

شيوخه وتلاميذه:

أتاحـــت لابن ماجه رحلاته العلمية التي اتسمت بالهمة العالية في تدوين الحديث أن يلتقي بكثير من شيوخ البلاد التي أخذ عنهم:

فســـمع من أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير، وجبارة بن المغلس وهشام بن عمار، ومحمد بن بشار وعمر بن عثمان بن سعيد وغيرهم من أئمة الحديث.

وروى عـــنه: عـــلي بـــن سعيد بن عبد الله، وإبراهيم بن دينار الجرس، الهمـــذاني وأحمـــد بن إبراهيم القزويني وسليمان بن يزيد القزويني، ومحمد بن عيسى الصفاء وأبو عمر وأحمد بن محمد بن حكيم المدني الأصبهاني وغيرهم.

مؤلفاته:

ولابن ماجه مؤلفات كثيرة منها:

١- كتاب السنن المتداول الآن، وهو أحد الكتب الستة.

٢- تفسير القرآن الكريم وهو تفسير حافل كما قال ابن كثير.

٣- كتاب التاريخ: أرخ فيه من عهد الصحابة إلى وقته.

وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل، ممتلئة بالبحث والتأليف، توفي ابن ماجه في ٢٢ رمضان سنة ٢٧٣هـــ وصلى عليه أخوه أبو بكر، وتولى دفنه أخواه أبو بكر وعبد الله وابنه عبد الله [2].

---

(١) كشف الظنون (٢/ ١٠٠٤)، مرآة الجنان اليافعي (٢/ ١٨٨)، تهذيب التهذيب (٩/ ٥٣١).

(٢) تهذيب التهذيب (٩/ ٥٣١) مرآة الجنان (٢/ ١٨٨).

ومن أعظم مؤلفاته كتابه القيم "السنن" الذي نتناول دراسته الآن.

التعريف بالكتاب:

صنف ابن ماجه كتاب السنن على الأبواب ورتبه ترتيبا فقهيا كشأن الكتب السابقة، وقد قسم "السنن" إلى كتب وأبواب فبلغت سبعة وثلاثين كتابا عدا المقدمة وعدد الأبواب ١٥١٥ خمسة عشر وخمسمائة وألف باب وكان مجموع أحاديثه أربعة آلاف حديث في الصحيح والحسن، والضعيف، بل والمنكر، والموضوع على قلة.

وقد ابتدأ ابن ماجه كتابه بباب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وساق فيه الأحاديث الدالة على حجية السنة ووجوب اتباعها والعمل بها، وقد عد أحاديث السنن الأستاذ محمد فواد عبد الباقي الذي حققه فكان جملة أحاديثه ٤٣٤١ أربعة آلاف وثلاثمائة وواحدا وأربعين حديثا منها ٣٠٠٢ اثنان وثلاثة آلفا حديث أخرجها أصحاب الكتب الخمسة أما باقي الأحاديث وعددها ١٢٣٩ ألف وثلاثمائة وتسع وثلاثون حديثا فهي الزوائد على ما جاء بالكتب الخمسة، ومن هذه الأحاديث الزوائد ٤٢٨ أربعمائة وثمان وعشرون حديثا رجالها ثقات، صحيحة الإسناد، ومنها ١٩٩ تسع وتسعون ومائة حديث حسنة الإسناد ومنها ٦١٣ ثلاثة عشر وستمائة حديث ضعيفة الإسناد أو منكرة أو مكذوبة.

وقد علا ابن ماجه في بعض الأحاديث حتى صار بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال وهي ما تعرف بالثلاثيات.

وقد روى كتاب السنن عن ابن ماجه: أبو الحسن القطان وسليمان بن يزيد وأبو جعفر ومحمد بن عيسى وأبو بكر حامد الأبهري ولكتاب السنن

شروح أهمها:

١- شرح الشيخ كمال الدين محمد بن موسى العميري الشافعي المتوفى سنة ثمان وثمانمائة ٨٠٨ في خمسة مجلدات واسم هذا الشرح: الديباجة.

٢- شرح الشيخ إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة واحد وأربعين وثمانمائة.

٣- شرح الحافظ السيوطي واسم هذا الشرح "مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه" واختصر شرح السيوطي علي بن سليمان الدمناتي الياجعاوي في "نور الصباح" وطبع في القاهرة سنة ١٢٩٦هـ.

٤- شرح الشيخ السندي المدني المتوفى سنة ١١٣٨وهو شرح وجيز.

٥- شرح العلامة سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة واسم هذا الشرح: "ما تمس إليه الحاجة على سنن ابن ماجه" واقتصر فيه على شرح زوائد سنن ابن ماجه على الكتب الخمسة [1].

منهجه ودرجة أحاديث

نهج ابن ماجه في تصنيف كتابه نهجا سلك فيه سبيل من قبله بتبويبه تبويبا فقهيا، وترتيبه ترتيبا حسنا، فامتاز كتابه بحسن التنسيق وسعة الجمع وجمال الترتيب ولم يشترط في كتابه الصحة، وإنما أخرج فيه الصحيح والضعيف بل والمنكر والموضوع على قلة كما أخرج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث وبعض تلك الأحاديث لا تعرف إلا من جهتهم وقد عد كثير من العلماء المتقدمين، وبعض المحققين من بعدهم أصول كتب الحديث خمسة:

صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن

(١) تاريخ الأدب العربي (٣/ ١٩٩)، أعلام المحدثين ص٢٨٥.

الترمذي، و لم يضم إليها سنن ابن ماجه لتأخر رتبة السنن عن هذه الكتب.

ولكن بعض العلماء اللاحقين أضاف إليها كتاب السنن لابن ماجة وجعلها سادسا، لما فيها من جمال الترتيب وحسن الانتقاء، وكثرة ما فيها من النفع في أبواب الفقه وكثرة زوائدها على الكتب الخمسة بخلاف الموطأ فإن أحاديثه موجودة في الكتب الخمسة إلا القليل.

وأول من ضم سنن ابن ماجه إلى الكتب الخمسة ابن طاهر المقدسي، وتابعه أصحاب الأطراف وغيرهم.[1] وقد خالف في ذلك بعض العلماء كالعلائي وابن حجر ورأى أن يجعل سادس الكتب كتاب الداري لابن ماجه أخرج أحاديث رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث أما سنن الدرامي فأكثر صحة منه، وأحاديثه مسندة، ولذا سمي مسندا، وأيضا في كتاب الدارمي قليل في الرجال الضعفاء نادرا الأحاديث المنكرة والشاذة وإن كان فيه كثير من الأحاديث المرسلة والمنقطعة والمعضلة والمقطوعة [2].

وذهب بعض العلماء منهم رزين السرقسطي والمجد ابن الأثير أن سادس الكتب الستة "الموطأ" للإمام مالك لصحة الموطأ وعظم شأنه.

والحق أن كتاب "الموطأ" أولى بذلك من سنن ابن ماجه، فإن في أحاديث السنن ما حكم بالبطلان والنكارة، أما الموطأ فهو أعلى درجة من سنن ابن ماجه.

وروى ابن ماجه أنه قال: "عرضت هذه السنن على أبي زرعة الرازي، فنظر فيها وقال: أظن أنه إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع

---

(١) تقريب الراوي ص٤٩.

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص٤٢، تقريب الراوي ص١٠٠.

وأكـثرها ثم قال لعلة لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثا في إسناده ضعف، وذكر المقدسـي أنها بضعة عشر حديثا ونحوها [1]. ولكن الإمام أبا عبد الله بن رشيد تكلم عن سنن ابن ماجه أثناء حديثه عن كتاب النسائي وبين أن ابن ماجه تفرد بإخـراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب ورد على قول أبي زرعة السابق بقولـه وأما ما حكاه ابن طاهر عن أبي زرعة الرازي أنه نظر فيه فقال: لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثا مما فيه ضعف في حكاية لا تصح لانقطاع سندها، وإن كانت محفوظة فلعله أراد ما فيه من الأحاديث الساقطة إلى الغاية، أو كان ما رأى من الكتاب إلا جزء منه فيه هذا القدر [2].

(١) تذكرة الحفاظ (١٨٩/٢)، شروط الأئمة الستة ص ١٦.

(٢) زهر الربا على المجتبى (١/ ٣).

الإمام يحيى بن معين

هـــو أبـــو زكريا يحيى بن معين بن عون، البغدادي الحافظ ولد سنة ثمان وخمســـين ومائة نشأ محبا للعلم والعمل شغوفا بالحديث أنفق جميع ما له عليه، وكان أحد الأئمة الأربعة الذين انتهت إليهم الزعامة في الحديث وهم: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وأبو بكر بن أبي شيبة، وكان حافظاً النقنا لا يشق له غبار ومن مؤلفاته: "كتاب التاريخ والعلل" وهو مرتب على حروف المعجم وكتاب معرفة الرجال وكان مرجع الأئمة في معرفة الرجال.

ومـــن شـــيوخه الذين روى عنهم: عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وهشـــيم ويحيى القطان ومن تلاميذه الذين روا عنه وسمعوا منه البخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم الرازي وأحمد بن حنبل وابن سعد. وتوفى لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

منهجه في نقد الرجال

وكـــان ابن معين ممن يتقيه الرجال ويخافونه فلا يستقبلونه إلا بالأحاديث المستقيمة ومن أجل هذا وثق ابن معين رجالا لسماعه منهم جملة من الأحاديث المستقيمة وفي الواقع أنهم لا يبعد الخلط عنهم "ولما كان كذلك فإنه أئمة النقد نظـــروا فيمن وثقه يحيى بن معين للتأكد من صحة هذا التوثيق فقد يقرونه وقد يردونه إلا أنهم لم يردوا توثيقه كما ردوا توثيق ابن حبان والحاكم لأنه لم يبلغ في التساهل ما بلغاه ، وذكر الشيخ المحدث عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني: أن عادة ابن معين في الرواة الذين أدركهم أنه إذا أعجبته هيئة الشيخ يسمع منه جملـــة مـــن أحاديثه فإذا رأى أحاديث مستقيمة ظن أن ذلك شأنه فوثقه، وقد كانوا يتقون يحيى بن معين ويخافونه. فقد يكون أحدهم ممن خلط عمدا ولكنه

حين يعلم أن في مجلسه يحيى بن معين أستقبله بأحاديث مستقيمة ولما يبعد الخلط عنه، فإذا وجدنا ممن أدركه ابن معين من الرواة من وثقه ابن معين وكذبه الأكثرون أو طعنوا فيه طعنا شديدا فالظاهر أنه من هذا الضرب فإن يزيده توثيق ابن معين وهنا لدلالته على أنه كان بعد ويفيد هذا في أن من لينه يحيى بن معين أو ضعفه فإنما يكون ذلك بعد استنفاد كل وسائل الأعذار ويكون من هذا شأنه إنما حكم عليه يحيى بعد تدبر وتقص ومن ثم يكون حكمه بجرحه لا يسلم بحال".

الإمام علي بن المديني

هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن يحيى بن بكر بن سعيد المديني ثم البصـــري الحافظ الثقة، ولد سنة إحدى وستين ومائة من الهجرة، ونشأ على العلم والعمل وكانت له مناقبه الجمة، وقد شهد له تلميذه الإمام الكبير أبو عبد الله الـــبخاري إذ يقـــول: ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني. ومن شـــيوخه: أبوه، وسفيان بن عينيه وهشيم وعبد الرزاق وغيرهم. ومن تلاميذه: الـــبخاري وأبـــو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد بن حنبل، ولابن المديـــني نحـــو مـــائتي مصنف منها: "كتاب معرفة من نزل من الصحابة سائر الـــبلدان"، "كـــتاب الأسامي والكنى"، "كتاب الضعفاء"، "كتاب المدلسين"، "كـــتاب الطبقات"، "كتاب علل حديث ابن عيينة" وغير ذلك، وكانت وفاته سنة أربع ومائتين ليومين بقيا من ذي القعدة.

الإمام أبو بكر بن أبي شيبة

هو الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان أبو بكر المعروف بابن أبي شيبة من أهل الكوفة، ولد سنة تسع وخمسين ومائة، وكان متقنا حافظا فهو أحفظ أهل زمانه، وممن روى عنهم: أبو الأحوص وابن المبارك وشريك وهشيم وابن عيينة وغيرهم، وممن روى عنه: البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل وأبو زرعة وغيرهم يقول أبو عبيد القاسم بن سلام: ربانيوا الحديث أربعة: فأعلمهم بالحلال والحرام: أحمد بن حنبل، وأحسنهم سياقة وأداء له علي بن المديني، وأحسنهم وضعا لكتاب أبي ابن شيبة، وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيى بن معين وتوفى ابن أبي شيبة سنة خمس وثلاثين ومائتين.

منهجه في المصنف:

يعتبر مصنفه من أهم ما صنف في أحاديث الأحكام دون فيه الأحاديث بأسانيدها، ويعتبره كثير من الباحثين أنه أجمع كتاب ألف في أحاديث الأحكام، وقد نهج الإمام أبو بكر في تأليف مصنفه منهج التأليف على الأبواب، فرتبه على أبواب الفقه، ودون في كل باب من أبوابه ما ورد فيه من الأحاديث مع ضم أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ويذكر في المسألة أقوال أهل العلم فيها مما يسهل على الباحث معرفة الحكم في مسألة ما إن كانت إجماعية أو خلافية. ولم يشترط في كتابه تخريج الصحيح فقط، وإنما أخرج الصحيح وغيره فأخرج المرفوع والمرسل والمقطوع والموقوف وأقوال الصحابة والتابعين وقد عد ولي الله الدهلوي "المصنف" في الطبقة الثالثة من طبقات كتب الحديث، حيث جعل الطبقة الأولى منحصرة في الموطأ والصحيحين والثانية: منحصرة في سنن أبي

داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي وكاد مسند أحمد يكون من جملتها وجعل الثالثة: مسانيد وجوامع ومصنفات جمعت بين الصحيح وغيره ولم تشتهر بين العلماء وإن زال عنها اسم النكارة المطلقة مثل مسند أبي يعلى ومصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة.

الإمام أبو حاتم الرازي

هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو حاتم الحنظلي الرازي، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل وهو قرين أبي زرعـــة، ولد سنة خمس وتسعين ومائة. ونشأ على نور العلم والمعرفة فسمع وروى عـــن كثير من الأئمة الكبار، وأجمع العلماء على علو شأنه في الحديث وعلله، وعده الحاكم من فقهاء الحديث، وكان بارع الحفظ واسع الرحلة.

ومن شيوخه: محمد بن عبد الله الأنصاري وأبو زيد النحوي وعثمان بن الهيثم وغيرهم، وأول كتابته للحديث سنة تسع ومائتين. وروى عنه: يونس بن عـــبد الأعلى والربيع بن سليمان المصريان وهما أكبر منه سنا وأقيم سماعا وأبو زرعـــة الـــرازي وقدم بغداد وحدث بها وروى عنه من أهلها أحمد بن منصور الرمادي وإبراهيم بن إسحاق الحربي.

يقـــول ابـــن أبي حاتم الرازي سمعت أبي يقول: أكتب أحسن ما تسمع وأحفـــظ أحسن ما تكتب، وذاكر بأحسن ما تحفظ، وفي هذا توضيح لكيفية تدوين العلم.

وتوفي بالري سنة خمس أو سبع ومائتين.

مهارته في معرفة الصحيح والسقيم:

كان ماهرا في معرفة صحيح الحديث وسقيمه، فكانت له موهبته النادرة، وعـــلمه الوافر، كما كان شديد الملاحظة قوي الذاكرة سريع المعرفة والتمييز لصحيح الأخبار من سقيمها من أول وهلة إذ كان على جانب عظيم من العلم الذي ألهمه الله إياه، ويقول البلقيني: وشاهد هذا أن إنسانا لو خدم إنسانا سنين وعرف ما يحب وما يكره، فأدعى إنسان أنه كان يكره شيئا يعلم ذلك أنه يحبه

فبمجرد سماعه يبادر إلى تكذيبه، فمعرفة أبي حاتم معرفة الناقد الخبير له في ذلك علم واسع وملكة قوية ومقاييس دقيقة تقوم على عدالة الناقلين للخبر وأن يكون كلامه يصلح أن يكون من كلام النبوة، ويعلم سقمه وإنكاره بتفرد من لم تصح عدالته بروايته.

الإمام إسحاق بن راهويه

هو أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد إبراهيم بن عبد الله ابن مطر ولقب والده براهويه، لأنه ولد في طريق مكة، والطريق بالفارسية "راه" و"ويه" معناه وجد فكأنه وجد في الطريق، ولد سنة إحدى وستين ومائة، ونشأ نشأة علمية مباركة جمع فيها بين الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، ورحل في طلب العلم والحديث وهو ابن ثلاث وعشرين سنة.

ومن شيوخه: جرير بن عبد الحميد وسفيان بن عيينه وفضيل بن عياض وغيرهم وروى عنه: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ويحيى بن معين، وروى عنه من شيوخه يحيى بن آدم وبقية بن الوليد وهذا يدل على تضلعه في العلم ورسوخ قدمه ويشهد له بمكانته العلمية في نفوس شيوخه وكان يحفظ سبعين ألف حديث ويذاكر بمائة ألف حديث، بل إنه حفظ أربعة آلاف حديث مزورة ليميز بينها وبين الصحيحة وقد سئل عن سبب حفظه للمزور، فقال: إذا مر بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فلياء وقد تأثر البخاري بإسحاق تأثرا كبيرا وبينهما تشابه واضح في المنهج العلمي الذي سار عليه كل منهما في الدفاع عن الحديث وتصنيفته والقيام بنقد السنة والمتن واستنباط الأحكام الفقهية دون إكثار من الرأي فيه.

كتابه "المسند" من أهم مصنفات ابن راهويه كتابه المسند ويتكون من ستة مجلدات، ومن رواته أبو محمد عبد الله بن محمد النيسابوري وهو مرتب على أسماء الصحابة، وقد ذكر أبو زرعة الرازي أنه يخرج فيه أمثل ما ورد من أحاديث الصحابة، والأمثل ليس بلازم أن يكون صحيحا بل إنما يكون أفضل مما تركه ولهذا وقع فيه الضعيف كما وقع في غيره.

الإمام ابن خزيمة

هـــو محمـــد بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر إمام أبو بكر السلمي النيسابوري ولد في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعنى منذ صغره بالحديث وعـــاش زاهدا ورعا محبا للعلم وحفظه، قيل لابن خزيمة: من أين أوتيت العلم؟ فقـــال: قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ماء زمزم لما شرب له" وإني لما شربت ماء زمزم سالت الله علما نافعا.

ومـــن شـــيوخه: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن حميد الرازي، وبشر بن معاذ، ويونس بن عبد الأعلى.

وروى عـــنه: الـــبخاري ومسلم خارج الصحيح، وأحمد بن المبارك، والمســـتملي، وأبـــو علي النيسابوري وكان ابن خزيمة شديد التحري والضبط للحديث حتى ليتوقف في التصحيح لأدنى كلام يقال في الإسناد وجمع ابن خزيمة بين حفظ السند والمتن وحفظ الفقهيات من الأحاديث فاستحق أن يلقب إمام الأئمـــة. وتـــزيد مصنفاته على مائة وأربعين كتابا سوى المسائل ومن مؤلفاته كـــتاب التوحيد، وإثبات صفات الرب، وكتاب الفقه، وبعد حياة حافلة توفى إمام الأئمة ابن خزيمة سنة إحدى عشر وثلاثمائة.

الإمام أبو زرعة الرازي

هـو الإمـام الحافظ عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولاهـم الـرازي منسوب إلى الري، ولد سنة مائتين، ونشأ محبا للعلم معروفا بـالحفظ والورع وعرف منذ صغره بعقلية علمية نادرة، وذكاء منقطع النظير، عده الحاكم من فقهاء الحديث وقيل: كان يحفظ سبعمائة ألف حديث ورحل أبو زرعة وسمع من أبي نعيم والقعنبي وطبقتهما.

ومـن شـيوخه: أبو نعيم وخلاد بن يحيى ومسلم بن إبراهيم ورحل إلى العـراق والشام الجزيرة وخراسان ومصر، وكان من الحفاظ المتقنين والمخلصين الزاهدين.

ومـن تلامـيذه: مسلم والترمذي والنسائي وأبن ماجه وإبراهيم الحربي وغيرهم.

ويقول أبو زرعة: أحفظ مائة ألف حديث كما يحفظ الإنسان "قل هو الله أحد". وله من المؤلفات كتاب "المسند" وتوفى سنة أربع وستين ومائتين.

الإمام الدارمي

هـو الإمـام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميـمي أبو محمد السمرقندي الحافظ الدارمي، ولد سنة إحدى وثمانين ومائة وعـرف منذ صغره بالصدق والورع والذكاء وقال فيه أبو حاتم: ثقة صدوق، وبـرع الدارمـي في عـلم الحديث حتى بذا قرآنه وألف "التفسير" و"الجامع" و"المسند" وهو المسمى بالسنن.

ومـن شيوخه: النضر بن شميل ويزيد بن هارون وسعيد بن عامر الضبعي وجعفر بن عون.

ومـن تلاميذه: مسلم وأبو داود والترمذي وروى البخاري عنه في غير الجامع.

منهجه في كتاب "السنن"

لكتاب "السنن" قيمته العلمية بين كتب الحديث، فهو كتاب جليل القدر عظيم الفائدة وقد عده ابن الصلاح في المسانيد وانتقد في ذلك، لأنه مرتب على الأبواب لا على المسانيد وإنما أطلق عليه بعض العلماء اسم المسند لكون أحاديثه مسندة كما سمى البخاري كتابه "المسند الجامع" ويقوم منهج هذا الكتاب على ترتيـبه على الأبواب الفقهية وتبويبه تبويبا موضوعيا واشتمل هذا الكتاب على كثير من الأحاديث الصحيحة التي اتفق عليها الشيخان أو البخاري أو مسلم أو كانـت على شرطهما أو شرط أحدهما كما اشتمل على كثير من الأحاديث الحسـنة، وفـيه بعض الأحاديث المنكرة أو الشاذة وهي نادرة جدا وكذلك الأحاديـث المرسـلة والموقوفـة، ولكنها تقوى أحيانا لمجيئها من طرق أخرى تعضـدها، ويرى الحافظ ابن حجر أن سنن الدارمي ليس دون السنن في المرتبة

بل لو ضم إلى الخمسة لكان أولى من سنن ابن ماجه فإنه أمثل منه بكثير بل إن بعضهم سماه "الصحيح" وهي تسمية فيها تجوز وعاش الدارمي أربعا وسبعين سنة حفلت بعظائم الأمور وبالأعمال العلمية المباركة وتوفي ثامن شهر ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين.

الإمام بقي بن مخلد

هو الإمام الحافظ بقى بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن القرطبي الأندلسي صاحب المسند الكبير، والتفسير العظيم، ولد في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، ونشأ هذا الإمام الجليل محبا للعلم متواضعا عابدا مجاهدا وسمع من يحيى ابن بكير ورحل إلى دمشق وسمع بها من إبراهيم بن هشام ورحل إلى بغداد وسمع الإمام أحمد بن حنبل وطبقته، وإلى الكوفة وسمع يحيى بن عبد الحميد وأبا بكر بن أبي شيبة، وإلى البصرة وسمع حماد بن زيد.

وممن سمع منه وروى عنه: شيخه يحيى بن بكير وهذا يشهد له بعلو المكانة في الحديث وابنه أحمد والحسن بن سعيد وغيرهم. ومن مؤلفاته: كتاب "التفسير" وكتاب "المسند" وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين.

منهج بقي بن مخلد في المسند:

يقوم منهج بقى بن مخلد في مسنده على تدوين الأحاديث بطريقة المسانيد وطريقة الأبواب، فجمع بين الطريقتين، وروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف ورتب أحاديث كل صاحب على أبواب الفقه ومسائل الأحكام فهو مسند ومصنف، وعدد الأحاديث التي نسبها ابن الجوزي للصحابة فيه ٢١٠٦٤ وكان الإمام بقي بن مخلد يجمع الحديث على طريقة المسند لكل صحابي، وعلى طريقة التبويب كذلك، ولعله كان يقطع الحديث في أبوابه على نحو ما فعل البخاري في صحيحه، وأنه أيضا كان يكرر الأحاديث، وحاول بعض الباحثين المقارنة بين كتاب المسند للإمام بقي بن مخلد وبين مسند الإمام أحمد ولكنها آراء استظهارية لا تقوم على أساس من النقد العلمي الصحيح لعدم وجود كتاب الإمام بقي بن مخلد، وتوفى في جمادي الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين.

الإمام محمد بن جرير الطبري

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين بطبرستان، وقد تفانى في طلب العلم والتأليف حتى مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة، وكان الطبري إماما في التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وقام برحلات عديدة تلقى خلالها العلم والحديث عن كبار الشيوخ فبدأت بالري وما جاورها ليأخذ الحديث عن محمد بن حميدة والمثنى بن إبراهيم واتجه إلى البصرة ثم إلى واسط والكوفة والشام ومصر، ومن تلاميذه والذين رووا عنه: أحمد بن كامل القاضي ومحمد بن عبد الله الشافعي.

ومن مؤلفاته "كتاب التفسير الكبير" وهو من أجل كتب التفسير بالمأثور وأصحها ذكر فيه ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن الصحابة والتابعين ووجه الأقوال ورجح بعضها على بعض، كما ذكر فيه الكثير من وجوه الاستنباط واللغة والاستشهاد بالشعر على بعض ما في الألفاظ، وكتاب "تهذيب الآثار" وتفضيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتدأه بما رواه أبو بكر وتكلم على كل حديث وعلته وطرقه وما فيه من الفقه والسنن واختلاف العلماء وأتم منه مسند العشرة وأهل البيت والموالي ومن مسند ابن عباس قطعة كبيرة ومات قبل تمامه وهو موجود بمكتبة الآستانة، وكتاب "تاريخ الأمم والملوك" وكتاب "القراءات"، و"تاريخ الرجال"، و"التبسيط في الفقه"، و"التبصير في أصول الدين"، و"اختلاف العلماء"، و"الفضائل"، و"أحكام شرائع الإسلام"، وغير ذلك، وقيل توفي ودفن في داره سنة عشر وثلاثمائة والصحيح أنه دفع ببغداد.

الإمام محمد بن سعد كاتب الواقدي

هـــو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري الهاشمي، الإمام المؤرخ الثقة، ولد بالبصرة سنة ثمان وستين ومائة من الهجرة، ولم يلابس ابن سعد الفتن الهوجاء في عهد المأمون وبعده فأمكنه نشر علمه، وعرف بكاتب الواقدي لأنه صـــحبه زمانا وكتب له فعرف به، وأكثر المحدثين وثقه قال: ثقة مع أن أستاذه ضـــعيف، وكـــان ابن سعد ينتقي الرواية التي يرويها لشيخه أو يؤيدها برواية أخرى لغيره، روى عن كثير من الشيوخ لا سيما الواقدي وروى عن سفيان بن عيينة وهشيم والوليد بن مسلم وغيرهم وممن روى عنه: أبو بكر ابن أبي الدنيا وأبـــو محمـــد الحارث بن أبي أسامة التميمي، وجرح البعض ابن سعد وعدله الأكـــثرون، ورحـــل ابن سعد إلى المدينة والكوفة وبغداد ومن مؤلفاته: كتاب "الطبقات الكبرى"، وكتاب "الطبقات الصغرى"، وكتاب "أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ".

كتاب الطبقات الكبرى ومنهجه فيه:

كـــتاب الطبقات الكبرى لابن سعد من أوائل ما صنف في هذا الموضوع ولعلـــه لم يســـبقه في هذا المجال إلا طبقات الواقدي، ومصادره نوعان: الأول المشـــافهة والســـماع. والـــثاني: الكتابة ولم يقتصر على طبقات الواقدي وإنما اســـتعان بكتب الواقدي الأخرى، كما استجد بعض فصول لم يجد رواية فيها لشـــيخه مـــثل كنية رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يعوذه به جبريل وأنساب الجاهلين وسير الأنبياء والأمم السابقة، وتحدث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين إلى عصره، وبعد أن انتهى من الجزءين الأول والثاني اللذين جعلهما للسيرة النبوية عقد فصلا للمفتين بالمدينة في معهد النبوي

ثم ترجم للصحابة والتابعين وخصص آخر جزء للنساء.

ونلاحظ في تراجمه عنصرين: عنصر الزمان، وعنصر المكان، أما عنصر الزمان فكان يراعيه في سائر الطبقات من أولها إلى آخرها وجعل البداية هي السابقة إلى الإسلام ثم موقعة بدر، فبدأ بالمهاجرين البدريين ثم بالأنصار البدريين، وأما الثاني: وهو عنصر المكان فترجم للصحابة على حسب الأمصار فسمى من كانوا بالمدينة أو مكة أو الطائف "وهكذا" ومن نزلوا الكوفة ومن نزلوا البصرة ومن فضلوا المقام بالشام أو مصر وسار على هذا المنهج بالنسبة للتابعين "الطبقة" في كتاب ابن سعد تساوي عشرين سنة تقريبا. ولهذه الطريقة عيب فقد يكون أحد الرجال داخلا في غير موضع واحد كأن يكون بدريا وممن يفتى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ثم هاجر إلى مصر من الأمصار وهكذا فتتعدد ترجمته وتنبه لهذا ابن سعد فكان يطيل الترجمة في موضعها الأصلي ويمر عليها بإيجاز في الموضع الآخر.

وأكبر ما انتقده المحدثون على الواقدي واتبعه في ذلك تلميذه ابن سعد هو جمع الأسانيد الكثيرة وإيراد متن واحد لها وإدخال حديث الرجال بعضهم في بعض مبتغيا بذلك الإيجاز إذا كثرت الروايات وتشابهت، وفي طبقات ابن سعد الأسانيد المرسلة والمقطوعة بجوار الصحيحة الكثيرة ولا يصعب على أهل العلم استخلاص الصحيح من غيره وفي الكتاب بعض توضيحات يسيرة من ابن سعد وهي تطلعنا على نقده العلمي الطيب الذي تميز به. وتوفى ابن سعد لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائتين ببغداد.

العلوم المصاحبة لتدوين السنة

لقد تمخضت بحوث المحدثين ومناهجهم إلى علوم كانت قمة ما وصل إليه الفكر البشري وأصح ما عرف في التاريخ من القواعد العلمية في الرواية والأخبار وقد نسج على منوال علماء الحديث كثيرون من علماء السلف في سائر مجالاتهم العلمية الأخرى كالتاريخ والفقه والتفسير والأدب وغير ذلك وتلك العلوم التي تمخضت عنها بحوث الأئمة هي ما تسمى بعلم أصول الحديث أو علم الحديث دراية وذلك أن علم الحديث ينقسم إلى قسمين: علم الحديث رواية: وهو علم يعرف به ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من ذلك على الرأي المختار. وعلم الحديث دراية، وهو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن وقد نشأت أصول هذا العلم مع نشأة الحديث نفسه، إذ كانوا يطلبون من الراوي التثبت وينقدون المرويات وازداد الحرص على هذا العلم منذ وقوع الفتنة فكانوا يقولون: سموا لنا رجالكم ثم زاد الطلب عندما قام ابن شهاب بجمع الحديث، ثم كتب الإمام الشافعي بعض المسائل في كتابيه: "الرسالة"، و"الأم" وكان أول من ألف في بعض بحوث هذا العلم هو الإمام علي بن المديني كما تكلم في مسائله البخاري ومسلم والترمذي من علماء القرن الثالث وأشاع الترمذي مسائله وجمع بعضها في خاتمة جامعه ولم تكن المؤلفات في علوم الحديث حتى القرن الثالث جامعة لكل أنواع هذا العلم ولا مستقلة بذاتها فمنهم من جعلها مقدمة لكتابه كالإمام مسلم ومنهم من جعلها خاتمة لكتابه كالترمذي ومنهم من ألف في التاريخ كالبخاري ومنهم من كتب في الثقات كأبي حاتم ابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤ ومنهم من كتب في الضعفاء كالبخاري والنسائي.

وبعـــد أن نضجت العلوم واستقر الاصطلاح دون هذا العلم وحده وفي كتب مستقلة وذلك في القرن الرابع الهجري على يدي القاضي أبي محمد الحسن ابـــن عبد الرحمن خلاد الرامهزمري المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ألف كتابه "المحدث الفاصـــل بـــين الراوي والواعي" وكان أول من وضع كتابا مستقلا في علوم الحديـــث ولكنه لم يستوعب ثم صنف الحاكم النيسابوري كتابه "معرفة علوم الحديـــث" ثم ألـــف الخطيب البغدادي كتابه في أصول الحديث "الجامع لآداب الشيخ والسامع" ثم كثر التأليف بعد ذلك.

كمـــا أدى حرص العلماء على معرفة أحوال الرواة إلى نشأة "علم الجرح والـــتعديل"وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد من شأنهم من تعديل يزيـــنهم أو تجريح يشينهم ومن بين هذا العلوم معرفة الصحابة، ولهذا العلم ثمرته العظـــيمة في معرفة الحديث المتصل والمرسل ومنها "علم تاريخ الرواة" وهو علم يعـــرف به تاريخ رواة الحديث ورحلاتهم ومواطنهم ومواليدهم ووفياتهم وكثير من أصولهم مما له أثر في توهينهم أو تقويتهم.

ومـــنها "علم معرفة الأسماء والكنى والألقاب" ويبحث في معرفة أسماء من اشـــتهر بكنـــية وكـــنى من اشتهر باسمه أو يكون قد اشتهر بلقبه دون اسمه أو العكس فإذا ذكر الراوي مرة باسمه ومرة بكنيته لا يظنهما من لا معرفة له أنهما رجلان.

ومنها علم تأويل مشكل الحديث ويسمى مختلف الحديث وهو التوفيق بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث.

معرفة غريب الحديث، ويبحث في بيان معنى بعض الكلمات الغامضة.

معـــرفة علل الحديث والعلة سبب خفي يقدح في الحديث مع أن الظاهر

السلامة منه ويتطرق ذلك إلى الإسناد الجامع شروط الصحة ظاهرا.

كتاب المشيخات، وتشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم وأجازوه وإن لم يقلهم.

الطبقات وتشتمل على ذكر الشيوخ وأحوالهم ورواياتهم طبقة بعد طبقة وعصرا بعد عصر إلى زمن المؤلف.

روايـــة الأكابر عن الأصاغر والآباء عن الأبناء ومن فوائد هذا العلم ألا يتوهم أن المروي عنه أفضل وأكبر من الراوي لكونه الأغلب في ذلك، وألا يظن أن في الســـند انقلابـــا ومـــن بين المصنفات الأجزاء والمستخرجات والشمائل والكتـــب المفـــردة في أبواب مخصوصة وأحاديث بعض شيوخ مخصوصين من المكثرين، وكتب السنة وهي خاصة باتباع السنة وترك البدعة والأهواء، وكتب مفردة في الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب والفضائل ونحوها.

مناهج المحدثين في القرن الرابع

جاء القرن الرابع الهجري فوجد علماء هذا القرن من كتب الحديث التي صنفت فيما قبلهم موضوعا لبحثهم، بما كان في هذه الكتب من التبويب الفقهي والترتيب الموضوعي، والتدوين الدقيق للسنة النبوية مما جعل دراسة هذه المصنفات — في بعض الأحيان — تحل محل الأسفار والرحلات العلمية التي كان يقوم بها الأئمة من قبل، وقد قام علماء القرن الرابع بتأليف كتب جديدة يقوم منهج التدوين فيها على الطرق الآتية:

١- تخريج الأحاديث الصحيحة على غرار ما كان يصنع البخاري ومسلم.

٢- طريقة المستدركات.

٣- طريقة المستخرجات.

٤- طريقة المعاجم.

٥- التأليف على العلل.

٦- التأليف على الأبواب.

٧- شرح الأحاديث النبوية.

١- طريقة تخريج الصحيح:

التزم بعض علماء القرن الرابع بتخريج الأحاديث الصحيحة، على نمط صنيع البخاري ومسلم وإن لم يبلغوا شأوهما ومن هؤلاء: الإمام أبو حاتم محمد ابن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد أبو حاتم البستي ومن شيوخه:

الحسين بن إدريس الهروي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو يعلى الموصلي، وأبو بكر ابن خزيمة وغيرهم.

ومـــن تلاميذه الحاكم أبو عبد الله ومنصور ابن عبد الله الخالدي وغيرهما ومن مؤلفاته: "التاريخ" و"الضعفاء" و"فقه الناس"، و"المسند الصحيح" وقد قسم مســـنده على الأوامر والنواهي والأخبار والإباحات وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم ونوع كل قسم إلى أنواع والكشف فيه عسر، لأنه لم يرتبه على الأبواب ولا عـــلى المسانيد، وقام بترتيبه على الأبواب: علاء الدين بن بلبان المتوفى سنة ٩٣٧ وسماه الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ويرى بعض الأئمة أن ابن حبان متساهل في التصحيح ولكن تساهله أقل من تساهل الحاكم ويظهر تساهله في القـــاعدة الـــتي قالها وهي: العدل من لم يعرف فيه الجرح إذ التجريح ضد الـــتعديل فمن لم يجرح فهو عدل حتى يتبين جرحه وإطلاق اسم الصحيح على كتابه فيه تجوز، وممن سار على طريقة تخريج الصحيح في هذا القرن:

الإمـــام قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوف الأندلسي أبو محمد، كان عالما بالسنة ورجالها، عالما بالحديث والفقه والعربية ومن شيوخه: بقي بن مخلد وابن أبي الدنيا وابن أبي خيثمة وغيرهم، ومن تلاميذه : قاسم بن محمد تلميذه، وعبد الله بن محمد الباجي ومن مؤلفاته: "كتاب الصحيح" و"بر الوالدين" و"المنتقى في الآثار" و"الأنساب" ومن المصنفين على هذه الطريقة أيضا:

الإمام أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي، ولد سنة أربع وتسعين ومائتين، ورحل إلى بلاد كثيرة وتضلع في الحديث وعلومه.

ومن شيوخه: أبو القاسم البغوي ومحمد بن يوسف الفريري.

ومـــن تلاميذه: أبو عبد الله بن منده وعبد الله بن محمد بن أسد القرطبي، وأجـــل مصنفاته: "كتاب الصحيح المنتقى" ويسمى بالسنن الصحاح وقد ألفه على طريقة الأبواب ودون فيه ما صح عنده من السنن مع حذف الأسانيد.

٢- طريقة المستدركات:

وتقـــوم هـــذه الطريقة على جمع الأحاديث التي تكون على شرط أحد الأئمـــة و لم يخرجها في كتابه فيأتي صاحب المستدرك فيحصي هذه الأحاديث كمـــا فعل الحاكم في كتابه "المستدرك" فقد أودع في كتابه هذا ما كان على شرط الشيخين أو شرط أحدهما و لم يخرجاه، كما أودع فيه ما أداه اجتهاده إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما وربما أودع فيه ما لم يصح منها على ذلك وقد نبه على كل نوع من هذه الأنواع في كتابه.

وقد قام بتلخيص المستدرك الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـــ.

وقـــد اختلف العلماء في الأحاديث التي انفرد الحاكم بتصحيحها: فمنهم من قال بقبول تصحيحه مطلقا.

ومنهم من قال: أنه متساهل وقال ابن الصلاح أنه "واسع الخطو في شرط الصـــحيح متســـاهل في القضاء به" فالأولى أن نتوسط في أمره فنقول ما حكم بصحته و لم نجد ذلك فيه لغيره من الأئمة أن لم يكن من قبيل الصحيح فهو من قبيل الحسن يحتج به ويعمل به إلا أن تظهر فيه علة توجب ضعفه. أ.هـــ.

والـــذي أرجحه هو ما ذهب إليه بدر الدين بن جماعة: وهو أن ما انفرد بتصحيحه نتتبعه ونحكم عليه بما يليق بحاله من الصحة أو الحسن أو الضعف لما قيل فيه أنه متساهل في التصحيح.

وممـــن ألف على هذه الطريقة أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني المـــتوفى سنة ٣٨٥هـــ ألف كتابه "الإلزامات" وجمع فيه من الأحاديث ما كان عـــلى شـــرط الشيخين وليس بمذكور في كتابيهما وألزمهما ذكره، وهذا غير لازم، لأنهما لم يلتزما إخراج كل الصحيح كما سبق.

وأبـــو ذر الهروي عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري المتوفى سنة ٤٣٤هـــ فقد ألف كتابه "المستدرك على الصحيحين".

٣- طريقة المستخرجات:

يقـــوم مـــنهج التأليف على هذه الطريقة بأن يأتي المصنف إلى كتاب من كتـــب الحديث كصحيح البخاري مثلا فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه، وشرطه: ألا يصل إلى شـــيخ أبعد حتى يفقد سندا يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو وزيادة مهمة، وممن ألف على هذه الطريقة:

الإمـــام أبـــو بكـــر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني المتوفى سنة ٢٧١هـــ ألف الصحيح المستخرج على صحيح البخاري.

والإمـــام يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الإسفرائيني المتوفى سنة ٣١٦هـــ ألف الصحيح المسند المخرج على صحيح مسلم.

والإمـــام أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني النيسابوري المعروف بابن الأخرم المتوفى سنة ٣٤٤هـــ ألف المستخرج على الصحيحين.

٤- طريقة المعاجم:

ويقـــوم منهج التأليف على المعاجم بترتيب صاحب الكتاب للصحابة أو الشـــيوخ على حسب حروف المعجم ومنهم من رتب الأحاديث على حروف المعجم، وممن صنف على هذه الطريقة:

الإمـــام أبـــو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي اللخمي الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـــ ألف "المعجم الكبير" فجمعت فيه مسانيد الصحابة مرتبين على حروف المعجم ما عدا القسم الثاني منه وهو قسم الأفعال فإنه مرتب على

المسانيد ذاكرا عقب كل حديث من أخرجه من الأئمة واسم الصحابي الذي خرج عنه والمعجم الأوسط وقد رتبه فيه شيوخه على حروف المعجم، "والمعجم الصغير" وهو عن كل شيخ له حديث واحد والقارئ لهذه الكتب يدرك أنها متأثرة في منهجها إلى حد كبير بطريقة التصنيف على المسانيد التي سلكها الإمام أحمد بن حنبل وغيره في القرن الثالث، وبهذا يتضح أثر المتقدمين في المتأخرين.

٥- التأليف على العلل:

وهذه الطريقة تعتبر أدق الطرق في التأليف، ولا يقف عليها إلا من أوتى حظا وافرا من المعرفة التامة بالرواة، وفي هذه الطريقة يقوم المصنف بجمع طرق الحديث، والنظر في الرواة، حتى يتبين اختلاف ضبطهم وإتقانهم فيستطيع معرفة الحديث المعلول فيحكم بعدم صحته، أو التوقف فيه، فالصلة كما سبق بينها في الباب الثالث: هي سبب خفي غامض يقدح في صحة الحديث ومن ألف على هذه الطريقة من أهل القرن الرابع: الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي المتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، ألف كتاب العلل ورتبه على أبواب الفقه والإمام أبو الحسن الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ.

٦- التأليف على الأبواب:

وقد ألف على هذه الطريقة الإمام الدارقطني ٣٨٥هـ كتابه "السنن" الذي جمع فيه بين الصحيح والحسن والضعيف، بل والموضوع على ندره ومن بين الموضوعات ما نبه عليه الدارقطني ومنها ما لم ينبه عليه.

٧- الشرح:

وقد عنى علماء القرن الرابع بشرح الأحاديث النبوية كالإمام أبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي المتوفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ٣٨٨هـ ألف كتاب "معالم السنن" شرح سنن أبي داود، وكتاب أعلام السنن شرح صحيح البخاري وهكذا.

منهج التصنيف من القرن الخامس
إلى سقوط الخلافة العباسية

ومـــن القرن الخامس حتى نهاية الخلافة العباسية، عندما سقطت بغداد في أيـــدي التتار على يد "هولاكو" سنة ٦٥٦هـــ في هذه المرحلة اقتصرت أعمال العلماء على الجمع والترتيب أو التهذيب لكتب السابقين. ويقوم منهج التصنيف في هـــذه المـــرحلة عـــلى تدوين ما تفرق في كتب الأولين بجمع ما اتفق عليه الشيخان، أو التقريب والاختصار بحذف الأسانيد واقتصارهم أحيانا على المتون وأحيانا أخرى على بعضها أو اقتصارهم على جمع أحاديث الأحكام والترغيب والترهيب ومن هؤلاء:

١- من قام بجمع أحاديث كل من صحيح البخاري وصحيح مسلم في مصنف واحد، وممن قام بالتصنيف على هذه الطريقة: إسماعيل بن أحمد المعروف بـــابن الفرات المتوفى سنة ٤١٤هـــ، ومحمد بن نصر الحميدي الأندلسي المـــتوفى سنة ٤٨٨هـــ وربما زاد زيادات ليس فيهما، وحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـــ.

٢- ومـــنهم من قام بالجمع بين أحاديث الكتب الستة: الصحيحان، وموطأ مالك، وسنن النسائي وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وممن صنف على هـــذه الطريقة: أحمد بن رزين بن معاوية العبدري السرقسطي المتوفى سنة ٥٣٥هـــ في كتابه "تجريد الصحاح".

٣- ومنهم من جمع بين أحاديث من كتب مختلفة مثل: "مصابيح السنة" للإمام حسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـــ جمع فيه ٤٤٨٤ حديثا من الأحاديث الصحاح، وهي التي أخرجها الشيخان أو أحدهما، والأحاديث

الحسان وهي التي أخرجها أبو داود والترمذي وغيرهما، وما كان فيها من ضعف ولم يذكر المنكر ولا الموضوع، ومنها: "جامع المسانيد والألقاب" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ جمع فيه بين الصحيحين، ومسند أحمد وجامع الترمذي وقد رتبه أبو العباس أحمد بن عبد الله المحب الطبري المتوفى سنة ٩٦٤هـ ومنها "بحر الأسانيد" للإمام الحافظ الحسن بن أحمد السمرقندي المتوفى سنة ٤٩١ جمع فيه مائة ألف حديث.

٤- ومنهم من دون أحاديث منتقاة في الأحكام والمواعظ مثل كتاب "منتقى الأخبار في الأحكام" للحافظ مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني المعروف بابن تيمية المتوفى ٦٥٢هـ انتقاه من صحيحي البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد وجامع الترمذي والسنن للنسائي وأبي داود وابن ماجه، وشرحه محدث اليمن محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ في كتابه "نيل الأوطار" ومثل كتاب "السنن الكبرى" للبيهقي أحمد بن حسين المتوفى سنة ٤٥٨هـ، وله أيضا كتاب السنن الصغرى ومثل كتاب "الأحكام الصغرى" للحافظ ابن محمد عبد الحق الأشبيلي المعروف ابن الخراط المتوفى سنة ٦٠٠هـ جمع فيه أحاديث الأحكام التي اتفق عليها البخاري ومسلم، ومثل كتاب "الترغيب والترهيب" للحافظ عبد النعيم ابن عبد القوي بن عبد الله المنذري والمتوفى سنة ٦٥٦هـ.

٥- ومنهم من صنف على طريقة الأطراف وهي أن يذكروا طرفا من الحديث يدل على بقيته ثم يجمعوا أسانيده إما على وجه الاستيعاب وأما مقيده

بكتب مخصوصة مثل: أطراف الصحيحين للحافظ إبراهيم بن محمد عبيد الدمشقي المتوفى سنة ٤٠٠هـ وأطراف الصحيحين لأبي محمد خلف بن محمد الواسطي المتوفى سنة ٤٠١هـ ومنها أطراف السنن الأربعة لأبي القاسم علي ابن الحسن المعروف بابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١هـ رتبه على حروف المعجم وسماه "الأشراف على معرفة الأطراف" ومنها أطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسي المتوفى سنة ٥٠٧هـ"[1].

(١) كشف الظنون (١/ ٢٨٥).

منهج التصنيف في الفترة ما بين نهاية الخلافة العباسية إلى عصرنا الحالي

قبل بيان منهج التصنيف في هذه المرحلة نحب أن نجلي الموقف العلمي بكلمة يسيرة: في هذه المرحلة ركدت الرحلات العلمية وانقطع الاتصال بين العلماء بعد أن كانت الأقطار الإسلامية حلقات متصلة متماسكة الجوانب، وقد حدث هذا الانفصال بسبب ما قامت به أوروبا من بث روح الفرقة والقضاء على شوكة المسلمين ومكنهم من ذلك غفلة المسلمين واختلافهم حتى قضى على الخلافة العثمانية، ولم يتجاوز المسلمون بلادهم، فتوقفت الرحلات العلمية، ولم يعد بعد للرواية الشفاهية من ظهور فكانت "الإجازة والمكاتبة" إلا ما كان من بعض المخلصين لتراثهم الذين استعذبوا الكد والجد في سبيل شريعتهم، فقاموا برحلات كانوا يجلسون فيها للإملاء وإثراء الحركة العلمية، والعمل على نهضة السنة النبوية.

ومن هؤلاء: الحافظ زين الدين العراقي ٨٠٦هـ، وشهاب الدين بن حجر ٨٥٢هـ فكانوا بوارق لامعة في جو ملبد خانق، فلم يقدر للاجازة والمكاتبة الذيوع، وإنما عكف العلماء على كتب الأولين اختصارا وتخريجا وشرحا، وعندما دالت دولة المماليك غربت معها الجهود العلمية لتبزغ في الهند والحجاز حيث وجدت صدورا أرحب وآفاقا أوسع.

وأما عن المناهج التي سارت عليها جهودهم العلمية، فإن الناظر إلى أعمال العلماء آنئذ يجد أنها كانت مقتصرة على دراسة كتب السابقين، انتقاء وترتيبا وتخريجا وتهذيبا، ومن أنواع الكتب المصنفة في هذه المرحلة:

١- كتب الزوائد: وفيها يقوم العلماء بإخراج الأحاديث الزائدة في كتاب على آخر وتدوينها في مصنفات خاصة لهم، وذلك لأن كتب المتقدمين كانت تتفاوت من حيث ما تحتوي عليه قلة وكثرة، فنهض علماء هذه المرحلة بتمييز الأحاديث الزائدة في مصنف على آخر، من هذه الكتب كتاب "إتحاف المهرة بزوائد العشرة" أي على الكتب الستة، والمسانيد العشرة هي: مسند أبي الوليد الطيالسي، والحميدي، ومسدد، وابن أبي عمر، وابن راهويه، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، وعبد بن حميد والحارث بن محمد بن أبي أسامة، وأبي يعلى الموصلي ومنها كتاب "زوائد السنن الكبرى" للبيهقي وكتاب "زوائد مسند أحمد على الكتب الستة".

٢- كتب الجوامع العامة: وفيها جمع العلماء بين جملة من الكتب في مؤلف واحد ككتاب جامع المسانيد والسنن لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ جمع فيه بين الكتب الستة ومسانيد أحمد والبزار وأبي يعلى والمعجم الكبير للطبراني ومنها "جمع الجوامع" للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها وكان يقصد جمع السنن بأسرها، وذلك غير ممكن.

٣- كتب جامعة لأحاديث الأحكام ككتاب "الإلمام في أحاديث الأحكام" لابن دقيق العيد سنة ٧٠٢هـ جمع فيه المتون دون أسانيدها وكتاب "بلوغ المرام من أحاديث الأحكام" لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ وأشتمل على ألف وأربعمائة حديث في الأحكام.

٤- تخريج الأحاديث المذكورة في مصنفات العلوم المختلفة، وهذه الأحاديث أوردها بعض المصنفين في العلوم المختلفة كالفقه وأصوله والتفسير وشرح الأحاديث والعقائد واللغة وجاءوا بها للاستدلال أو الاستشهاد، دون بيان

لدرجتها من الصحة أو الضعف، فتصدى بعض الحافظ لتخريجها، وبينوا مواضعها وجمعوا ذلك في كتاب على حدة مثل: "تخريج أحاديث تفسير الكشاف" للحافظ جمال الدين الزيلعي المتوفى سنة ٧٦٢هـ و"تحفة الراوي في تخريج البيضاوي" للشيخ عبد الرؤوف المغاوري والشيخ محمد همات زادة المتوفى سنة ١١٧٥هـ.

٥- تخريج الأحاديث المشتهرة على الألسنة: وهذا النوع من الأحاديث دار على ألسنة كثير من الناس كحكمة أو مثل، وراج بين عامتهم، ومنه الصحيح، ومنه الضعيف ومنه الموضوع ومنه الحكمة ومنه المثل، فانبرى بعض العلماء ليطلعوا المسلمين على حقيقة الأمر فألفوا كتبا في هذا النوع ككتاب "المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة" للحافظ السخاوي وكتاب "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" للحافظ إسماعيل بن محمد العجلوني المتوفى سنة ٩٦٢هـ.

٦- كتب الأطراف، وفيها يذكر طرف من الحديث يدله على بقيته ككتاب "أطراف مسند الإمام أحمد" و"أطراف مسند الفردوس" لابن حجر، "أطراف ابن حبان" للعراقي.

هذه هي أهم مناهج المحدثين، وهناك غير ذلك بعض الشروح والمختصرات فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموا من جهود مخلصة في خدمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفقنا الله لخدمة السنة ورزقنا شفاعة صاحبها عليه الصلاة والسلام.

محتويات الكتاب

رقم الصفحة

- مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري ٧

* مكانة السنة ٧
* منهج الصحابة في الرواية ١١
* كتابة السنة في العهد النبوي ٢٣
* أشهر الصحف المدونة في العهد النبوي ٢٧
* مدارس الحديث النبوي في القرن الأول الهجري ٣١
* الصحابة المكثرون من رواية الحديث ٣٦
* السبب في تفاوت الصحابة في الرواية قلة وكثرة ٤٦
* أثر أمهات المؤمنين في نشر السنة ٤٨
* أشهر الرواة من التابعين ٥٠

- مناهج المحدثين في القرن الثاني الهجري ٥١
* منهج تدوين السنة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ٥١
* منهج الإمام أبي حنيفة ٥٥
* منهج الإمام سفيان الثوري ٥٩
* منهج ابن المبارك ٦٢
* منهج شعبة بن الحجاج ٦٥
* منهج الإمام مالك ٦٧
* منهج الإمام الشافعي ٧٢

- منهاج المحدثين في القرن الثالث ٧٧
* مناهج التدوين على المسانيد ٨١
* مسند الإمام أحمد ٨٢
* منهج الامام أحمد في المسند ٨٤
* منهج التصنيف على الأبواب ٨٦
* صحيح البخاري ٨٩

* صحيح مسلم ٩١
* الأمام أبوداود السجستاني ٩٥
* منهج الأمام الترمذي ٩٨
* منهج الإمام النسائي ١٠٠
* الإمام ابن ماجة ١٠٣
* الإمام يحيي بن معين ١١١
* الإمام علي بن المديني ١١٣
* الإمام أبوبكر بن أبي شيبة ١١٤
* الإمام أبو حاتم الرازي ١١٦
* الإمام إسحاق بن راهويه ١١٨
* الإمام ابن خزيمة ١١٩
* الإمام أبوزرعة الرازي ١٢٠
* الإمام الدارمي ١٢١
* الإمام بقي بن مخلد ١٢٣
* الإمام محمد بن جرير الطبري ١٢٤
* الإمام محمد بن سعد كاتب الواقدي ١٢٥
* العلوم المصاحبة لتدوين السنة ١٢٧

- مناهج المحدثين في القرن الرابع ١٣٠

- منهج التصنيف من القرن الخامس إلي سقوط الخلافة العباسية ١٣٦

- منهج التصنيف في الفترة ما بين نهاية الخلافة العباسية الي عصرنا الحالي ١٣٩